

المصفاة

مجلة

المجلد التاسع
الجزء الأول والثاني



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

الجزء الأول

المجلد التاسع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كبيرًا وما يذكر إلا أولو الألباب

الجمعة

١٣١٥

فنشر عبادي الذين يستمعون القول فيديعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأتاهم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ - ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من
البينات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لإصلاح
جميع الورى ، ونستنظر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ،
ثم أصلح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، « ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والهوى ،
وأكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبنى ، وقتنة من ضل من
عرشدينا وغوى ، وخسر من عصى من دهائنا واعتدى ، واجعل اللهم
لنا على أئمران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك اليسرى ، وانقنا
بما أنزلت من الذكرى ، وآتنا ما وعدتنا في الآخرة والاولى ،

هذا ما يفتح به المنار سنته التاسعة - تذكير ودعاء ، بيعهما أمل

(المجلد التاسع)

(١)

(المنار ج ١)

ورجاء ، على حين سحلت صرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجنبي ، بين سلطان يجارب العلم وسلطان يجاربه الجهل ، وأمير مفتون بالذم ، وأمير مغبون بالفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشریف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدرّ غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزع بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغرام بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء نذل كل يوم وتخزي ، سنة الله في القرون الأولى ، « ٢٠ : ١٢٨ »

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى *

نعم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالفناء في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب يد في تصرف حكمانا في سياستنا ، ويد في تصرف أموالنا في مصالحهم دون مصالحنا ، ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف العمة ، والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاتلين ، ومن يتصل بحزبهم حيناً بعد حين ، والماقبة للمتقين ، « ٢ : ٢٤٩ » كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ قُوَّةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * «٢٠: ١٣٢» وَأَمْرٌ أَهْلَكَ
 بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * ١٣٣
 وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَيْنًا يَا يَهُ مِنْ رَبِّهِ: أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى *
 بلى قد جاءتنا صحف لأولين، فكانت مثالا للراأينافي صحف الآخرين،
 انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبث دولة بعد موتها، الا بصيحة نهر
 من أولي الألباب، ومثقي العقول والآداب، الدين يغير الله ما في نفوس
 أقوامهم، بما يليق به من الحكمة في ذلاقة ألسنتهم ونفحات أقلامهم،
 فيستبدلون الاعتصام بالانقسام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة،
 والمقة والحب، بالبنضاء والمقت، وبذلك يشعر الافراد بمعنى الأمة، ويعاونون
 بالتعاون فيكونون أمة، «٤٠: ٨٥» سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدَخَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ * ٥٣: ٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ
 الَّذِينَ اسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *
 ماالمنارا لصحيفة أوصحف أنشت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها
 سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعوا اليه معها ولتتكبير سواد
 الدعاة الذين يتعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للأمة، ويموتون في
 سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة
 من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين؛
 اللذين هما ينبوع الهداية، واتباعهما عنوان السعادة، من تمسك بهما نجا، ومن
 تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والأولى، «٢٠: ١٢٤» وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * ١٢٥ قَالَ

رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق
والضنك في معيشته الأولى، وبالعذاب في الدار الآخرة، وقد قال تعالى
وهو أقوم قبلاً، «٧٢: ١٧» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلاً * « فالدينا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة
فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا
ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الاتساب الى أولئك السلف الكرام، أما
سمع المغرور حديث الصحيحين: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ماشئت
لأعني عنك من الله شيئاً «٣٩: ٥٣-١» أم لم ينبا بما في صُحف موسى،
وإبراهيم الذي وفي * أن لا ترز وازرة وزراً أخرى وأن ليس للإنسان إلا
ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * «

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب
دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر، وبأخذ الامم والدول اياماً أخذاً ويلاً، «١٤١: ١» ولكن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * « نعم ان المؤمن يتلى ويفتن، ولكنه
لا يهن ولا يحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣٩: ٣» ولا تنهوا ولا
تخزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين * ١١: ٢٢ ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * « فما اتفم المفرورون
بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا «٢٣:٥٣» إن يتبعون إلا الظن
وما تهوى الآتفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * «٢٤» أم الإنسان ماتنى *
٢٥ فله الآخرة والاولى *

نعم به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لانجاة
لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن
ينزل بكم ، الا بفناء ارادكم في ارادة حكامكم ، لا بتغير ما في أنفسكم من
أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بتربية العقل والارادة
على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشترك في الاعمال ، ولا
بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالعرف والنهي عن النكر ، -
وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لاحياة لكم بالرابطة المليية ، لأنها
ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ،
فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يجوامن
هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ،
فما اعتز به المسلمون الأ ولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدينة أوربا في هذا
الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء
احذروهم وان خدموا الامة والدين ، ان يبعون بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى ، وكثرة المرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ،
٢٩:٥٣» فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * . ذلك

مبأنهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى»
 اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون ، وكل حزب بما لديهم فرحون
 «٢٤:٨ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»
 فله وحده دعوة الحق ، وما خالفها فهو باطل أوفسق «٢٦ : ١٥٠ فاتقوا الله
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ» ١٥٢ الذين يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ» «ها نحن أولاء قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمنياً
 طويلاً ، أظننا فيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ، وأخذنا الأجنب من
 ناحية سلطتهم أخذنا وبيلا ، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم قتيلاً ، «٢٩:٢٦
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا .» ولا سبيل إليه الا
 باتباع هدايته ، والسير على سننه في خليقته ، «٨٤:١٧ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ
 شَاكِلَتِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا» ٩٢:١٠-١١ والليل إذا
 يَنشَى ، والنهار إذا تجلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ، إِنَّ سَمْعَكُمْ لَشَتَّى *
 فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَعْتَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى *

فعلكم أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة ، واختلفت دعوة الدعاة ،
 أن تجيبوا داعي الله ، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله ، لا إغلاء
 كلمة الله ومواساة عياله ، واتفق أسباب الفتن والمحن ، والفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ، وصدق بالشرية الحسنى ، والخليفة الفضلى ، تصديق
 إذعان ، يتبعه العمل بالجنان والاركان ، والتعاون على البر والتقوى دون
 الأثم والعدوان ، فإذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسرى ، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن يخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بماله عن الاعتزاز بأمنته ومولته ، وكذب في نفسه بان الشرعة الحسنى ، والخليفة الفضلى ، هي طريق السعادة الكبرى ، فان الله تعالى لا ييسر له بمقتضى سنته الاعسرى الخطين ، وسوءى الطريقين ، فيكون شقيماً بماله ، مضطرباً في حاله ، مبعثاً الى قومه وآله ، لافرق في هذه السنة ، بين الشخص والامة ، والامر في الشعوب أظهر لمن يرى ، فمارزى شعب هذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢: ١١-١٣ وما يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإِنَّا لَنَآخِرَةُ وَالْأُولَى *

هذا ضرب من ضرب هداية القرآن ، الذي دعا الى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، وأثبت أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً في آيات الله وان سعى نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب اليها ، كان حظّه من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الأركان ، وهو الاقرب الى هداية القرآن ١٨: ٥٩ وتلك القرى اهلكتناهم لما ظلموا وجعلنا المهلكهم موعداً *

١٦:٧٢ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۗ ۱٧ لَنَقِصُّهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا «٩:٨٧» فَذَكَرْتُ
أَنْ تَفَعَّلَ الذِّكْرَى ۗ ١٠ سَيِّدٌ كَرُمٌ مِّنْ يَبْخَشِي ۗ

أما حزب الشيطان ، وأنصار الظلم والعدوان ، فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن ، هي اجتهاد اقل باب في هذا الزمان ، والداعي اليها عدو مبين لاهل الايمان ، وما علينا الا تقليد شيوخنا اهل الفقه والعرفان ، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام ، على عواتق اهل السلطة المتغلبين على الأحكام ، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان ، وان نسخ باستبداده القرآن ، وطنى بظلمه في الميزان ، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر ، ومن ورائهم قوم آخرون صرخوا من الدين ، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين ، يقولون لارجاء للمسلمين بحياة مليية ، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم ، واذا لم يتبعوا خطوات أوروبا فلا مدنية لهم ، كل هذا وذاك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون ، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون ، ولم ترد دعوة من هذه الدعوات أنكروا الرؤساء الرسميون ، والامراء المستبدون ، الا دعوة هذه الامة ، الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار ، وآذوا الاهل والانصار ، ودمروا على الدار ، واحتوا الكتب والاسفار ، وراقبوا الشيخ في عقر الدار ، حتى اختار الله له دار القرار ، وصادرونا في الوقف وتصددوا للعقار ، وهناك العالم الآثم ، يمد بغيه الحاكم الظالم ، هذا وقد كان لبلاد الحرية ، اصبع فيما كان في بلاد العبودية ، بعد

استثناء وإشمار ، بشأن الأخراج من الديار ، فكان نجاح المثير ، بديلا من خذلان المثير ، وطمع أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الأرجاء بالله، وانتظاراً لروح الله ، مع المعجز والتقصير ، وفقد العون والتصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وما جاء به رسوله هو الصديق « ١:٥٣ والنجم اذا هوى * ٢ ماضل صاحبكم وما غوى * ٢٠: ١٣٥ قل كل متربص فتربصوا فتعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى *

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الفرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق الهادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وإنما توجه الشبهات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيقته أنما هي نصوص الكتاب والسنة . فترغب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث محتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الأداء فللمتقدم أن يبين لنا ذلك . واننا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقده علينا العلماء والأدباء ، وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المتقدم مصيبا اعترفنا وشكرنا ، وان كان مخطئا نبينا وأعدرنا ، ولا عذر لعالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا وبأن الحق يدفع الباطل وبأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يذم المنار بعد هذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأه فهو فاسق مقتاب ، كاتم للعلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعادة والحكمة والحسن والقبح ﴾

تذكر ماورد السفاريني في هذه المسائل ليتم قراءة كتب الاشعرية ما في غيرها من الحقائق التي قد تخافها الى صواب ، وان الاقتصار على كتب طائفة معينة هو من قيود التقليد . قل في شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ يخلق ﴾ ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿ باختيار ﴾ منه فذهب سلف الامة وأئمتها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بهداه لم تكن سواء كان

ذلك على مثال سابق أولاً والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى إليه أي يخلق الخلق للحاجة إليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصاحبة والمنفعة والاضطرار الاجباء والاحواج والالزام والاكرام فالحاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الإرادة وهذا قول جمهور من ثبتت القدر وينسب إلى السنة من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه وهو قول كثير من نقاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعلته لكان ناقصاً بدونها مستكلاً بها فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكلاً بها فيكون قبلها ناقصاً وأيضاً فالعلة إن كانت قديمة وجب قدم المعلول لأن العلة الغائية وإن كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل - وأول البنية آخر المدرك - ويقال إن العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلاً فمن فعل فملا المطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فإذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديماً كان الفعل قديماً بطريق الأولى فلو قيل إنه يفعل لعلته قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وإن قيل إنه فعل لعلته حادثة لزم محذوران (أحدهما) أن يكون محلاً للحوادث فإن العلة إن كانت منفصلة عنه فإن لم يمد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وإن قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثاً فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضاً مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فإن كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وإن كان لعلته عاد التمسيم فيها فإذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعلته ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) إن تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعلته أخرى فإن كان الأول امتنع حدوثها لأن ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يوتخر

أحداثه وإن كان الثاني فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل فهذه الحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه.

(التقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقديم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم إن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلا إن كانت موجودة في الأزل لزم وجود المفعول في الأزل لأن العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فإنه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الأزل فإنا لانفي بالعلة التامة إلا ما تستلزم المعلول فإذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وإن لم تكن العلة التامة التي هي جميع الأمور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وإن لم تكن جميعها في الأزل فلا بد إذا وجد المفعول بعد ذلك من تجديد سبب حادث والآ لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح وإذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الأول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب إما التسلسل وإما الترجيح بلا مرجح . ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لسكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له إرادة بل هو موجب بالذات لفاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الإرادة) هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وإن كل ما حدث حدث بغير أحداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية إما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتمعا فان كان ممتمعا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات الأفلاك وإن كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسماوات والأرض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسيحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الفائية وبطل ما تدكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحدائه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الفائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فصل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين التقيضين وهو لاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وامثال ذلك

(التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كآبي البركات وأمثاله لكن هو لاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لركة وألم يحمده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الام واما لالتداده وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فملا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم علمتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقعتم فيه فان العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا يمشوه ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لئلا في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿ لكنّه ﴾ تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله انه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة اليه ولا اضطرار عليه غير أنه جل وعلا ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾ أي هملاً بلا أمر ولا نهي ولا حكمة وه معنى السدى المهمل وابل سدى اذا كانت ترعى حيث شئت بلا راع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما هو كثير جداً أن الله تبارك وتعالى لا يفعل الا الحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئاً ولا قضاء ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنها عقول البشر ﴿ فاتبع الهدى ﴾ باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته كما لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتفويض العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد واهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن الامام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفي ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وانفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعاً للفاعل ملائماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى ونهى اليها هي نافعة لفاعلها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضاراً للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكناً من الأفعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسناً وقبحاً لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبدو يقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقولون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فإنه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظلم عليك اليوم»

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني أهمها لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاة عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجود الصلاح ولهم في الاصلاح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والاكثر على التعليل والحكمة وهما هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أوقائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
 فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني
 إسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم
 ونظائرنا ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوارا
 عند أهل السنة ووجوبها عند المعتزلة فيفضل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين
 للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو
 محال ومن حدودها افتقارها الى علة أخرى وأنه يلزم التسلسل قال الامام الرازي
 وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعته ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال
 بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة فاما قديمة ومتعلقها
 حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ
 الاسلام وجمعا من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وغلا وأقاموا
 على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في مخيلة الفطيين السالم من ربة تقليد الاساطين
 أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجاب
 وأجيب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و(مفتاح دار
 السعادة) وغيرها فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين
 اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
 ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة
 قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز
 ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينههم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحساب
 باطل والله متعال عنه لما فانه لحكمته فقال تعالى (أحسب الانسان ان يترك
 سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل
 استنباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله
 قوله تعالى (أفحسبتم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) فتعالى الله الملك
 الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا

الحسبان وأنه متعال عنه فالإبليق به لقبه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على إثبات المعاد بالعقل كما يدل على إثباته بالسمع ثم إن ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين أحدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين وبين الإيجاب والتحرير شاهداً وغائباً والثاني في انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الأول فلهبتي الحسن والقبح فيه طريقتان أحدهما ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني إثبات الحسن والقبح وأربابه يقولون بإثباته ويصرحون بنفي الإيجاب قبل الشرع على العبد وبني إيجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كأبي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الإمام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الإيجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لا يزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الإيجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف أنه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الإيجاب والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فلتناس فيه ههنا ثلاث طرق أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا قول المعتزلة وهؤلاء يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه . وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبت منهم يقولون إن العذاب الثابت بعد الإيجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الإيجاب العقلي وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الإيجاب والتحرير العقليان غائباً فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك باللزام الذي أوجبه حكمته وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمنافاته كاله وغناه قالوا وهذا في الأفعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات أنه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبابه فقابلوا المترلة أشد مقابلة واقسما طرقي الافراط والتفريط ورد هؤلاء الوجوب والتحرير الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممنوع لتصديق خبره والتحرير عنهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والمخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلاً كتحرير الظالم على نفسه فأنهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الأشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فإن الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت ما لم يجرمه على نفسه ولم يوجب على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتنزه عنه لما فاته حكمته وكأله والفرقة الوسطا أثبتت له ما أثبتته لنفسه من الايجاب والتحرير الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كماله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم « يا عبادي ابي حرمت الظلم على نفسي » وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون قتيلاً) فأخبر بتحريره على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته والناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزهه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبوهه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضرر بواله من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الأمثال ومثلوه في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المظلة امتنعت من اثبات المثل الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الأمثال ومثلوه في صفاته بالجoadات الناقصة بل بالمعدومات وأهل السنة تزوهوه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال وتزوهوه فيها عن الشبيه والأمثال فأثبتوا له المثل الأعلى ولم يضربوا له الأمثال فكانوا أسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم التزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة ما لا قبل لهم به فقالوا إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه والتزموا أنه لا يقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا أنه إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما بإعانتة على فعل المأمور كان ظلما وأنه إذا اشترك اتنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظلما إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده في فضله وإحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الأمور الممتعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا أنه تركه بمشيئته واختياره وإنما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والأفكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظلم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقواه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فأنهم عبادك) يعني لم تتصرف في غير مالك بل إنما عذبت من مالك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وقوله تعالى (لا يستل عما يفعل وهم يسئلون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وباروى عن اياس بن معاوية قال: ما نظرت بعقلي كله أحدا إلا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تتصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء: والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياؤه وأهل طاعته ويخلد هم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجمته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار ممتنعاً لاخباره أنه لا يفعله لا لمنافاة حكمته ولا فرق بين الأمرين بالنسبة إليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لأرادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته وإخباره بأنه لا يكون، والتزموا أيضاً أنه يجوز أن يعذب الأطفال الذين لا ذنب لهم أصلاً ويخلد هم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معاً أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمة الله على نفسه وتنزه عنه فعلا واردة هو ما فسره به سلف الأمة وأئمتها أنه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكتسب يده ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها إذا قارنها أو طراً عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين النقيضين وقلب القديم محدثاً والمحدث قديماً فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلماً وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين. قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه أن عذبهم فانهم عباده وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يستل عما يفعل وإن قضاءه فيهم عدل وبمناظرة آياس القدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حتى يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى أن يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعهما وأنه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعدياً لحقه

٣٤ المذاهب والسنة . ابن تيمية وابن القيم . العلة والمصلحة . الخلاف والوافق (المنار)

عليهم وكأروا إذ ذلك مستحقين للعذاب لان أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا الا ان يتعدني الله برحمة منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمنها لها فأنها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمتهم لكانت رحمتهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الأمرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالم لهم وانه لو رحمتهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمتهم خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقيل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لانسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تنقضاء شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يحب الله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لان حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمتهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اه

(المنار) أيها الأشعري انك تربي في هذه الجملة من القول عن أئمة الامة ما ينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المعتزلة والاشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معيناً دون النظر في كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الآخذ من ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمهيص والتحديد وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الاعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعده ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه تضادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصلحة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تمكفر أو تضلل أحدا من أهل القبلة اذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فتاوى المتبائن

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ووظيفته (وظيفة) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً قد منما تقرأ السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا نلحق هذا ، ولما عني على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكره مرة واحدة قال لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافعاله

﴿ الاسئلة الجاوية في سماع آلات اللهب ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من جاوه فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المهملة ثم رأيناها الآن فنذكرها سرداً ثم نجيب عنها والظاهر انها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي
(السؤال الاول)

ماقولكم متع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الأوتار التي هي من آله الملاهي المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنبوس وتصريحهم بأنها شعار شربة الخمر وبفسق مستمعيها وتأنيبه وبرد شهادته (وذلك) كقول حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ما معناه فحرم ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضا ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضا يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشربة والخمسين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة ما ملخصه ويحرم استعمال آله من شعار الشربة كقنبور وعود ورباب ومزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو الى فساد ولانها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

٢٦ سماع صاحب التنبية للعود، ابن طاهر الحافظ (المنار)

الزواج عن اقرار الكبار ما معناه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما الزامير والاوزار والكوبة فلا يختلف في تحريم استماعها وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخمر والفسوق ومبيح للشبهات والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيره انتهى ملخصاً . وقد أورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كتابه النصائح الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه: اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: وذكر من جعلتها اتحاد القينات والمعازف يعني الملاهي من الاوزار والزامير (وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عدد كبائر الذنوب ما لفظه: واللعب بالآلات اللها المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوزار: وكتصر يح هولاء الأئمة تصریح غيرهم من حملة الشريعة المحمدية بالتحريم واتفاقهم عليه حيث اتفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه وعلى رد شهادتهم (فيل) قول هولاء الأئمة وتصریحهم بما ذكر معتمد في المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿ السؤال الثاني ﴾

وما قولكم مع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في تصریح هولاء الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة للمذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح تلك الآلة المحرمة كتصریح الشيخ ابن حجر في التذمة بتولاه اني رأيت هافت كثيرين على كتاب لبعض من أدركناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوزار وغيرها ولم ينظر لكونه مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للادفوي في تأليف له في السماع وانيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكتصر يح) الشيخ ابن حجر في الزواج بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبية انه كان يبيع سماع العود ويسمعه وانه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة فقد ردوه على ابن طاهر بأنه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذريعي عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبيه كما رأيت في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مهبذه بتحريم العود وهو قضية ما في تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتين ثقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصر يرح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم والرأي ان لا تتبع ابن حزم
فقد أبيضت عنده الاوتار والعود والطنبور والمزمار

(وتصر يرح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه انه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعته أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جموده على ظاهر يته الشنيعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاهما من ذلك لشدة ورعهما وبعدهما من الله وانتهى ملخصاً وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكى عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد انهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصر يرح هؤلاء الاثمة الذين هم حملة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أهل الاوتار وتكذيب تقولهم معتمد في المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الاوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصالحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكل المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابذتها والورع والزهد

كما لا ينبغي على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالشرع الروي والجوهري الشفاف والبرقة المشيقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحيدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الفوغاء بسبب هذه النسبة والاقراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قولكم متع الله بكم وصان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا القنبوس اناس من المترسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم الفوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزر المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ سَنَّ سِنَّ سَيِّئَةٍ فَعَلَيْهِ وَزَرَهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلِ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أم لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم متع الله بكم وذب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في مانص به السلامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لانسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بمحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَنْ فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فإنه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ الجبرمي على الاقناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من تهوهم وضلالهم فلا يعمل

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاعتراض بخلافات الأعيان أم لا افتونا في هذه المسئلة فإن البلية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها وطارت شرورها لعل الله بنور علمكم يطفيها لا ذلتم ناصرين لشريعة سيد المرسلين وللمعاونة على البر والتقوى معارفين احيا الله بكم الاسلام آمين اه بنصه

﴿ جواب المنار ﴾

قد اختلف العلماء في سماع الغناء وآلات اللهب قديما وحديثا واكثروا القول فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات، ونحن نذكر أقوى ماورد من الاحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلهم ثم ماهو الحق الجدير بالاتباع ثم نتكلم على اسئلة السائل

﴿ أحاديث الحظر ﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكون من أمتي قوم يستحلون الخمر والحريم والخمر والمعازف » أخرجه البخاري بهذا الشك بصورة التعليق وابن ماجه من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه « ليشرب بناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعرف على رؤوسهم بالمعازف والمعنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ان ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع أتسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال ابو علي اللؤلؤي سمعت ابا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبراء وكل مسكر حرام » رواه أحمد وأبو داود : وفي لفظ لأحمد انه قال بعد الميسر « والمزر والكوبة والقنين » وفي اسناد الحديث الوليد بن عبد قيس يرويه عن

٤ أحاديث حذر السماع والخمور (النار)

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين أنه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب . وقال المنذري ان الحديث معلول ، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو « عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام »

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بزيمة وقال ابن الأعرابي الكوبة الرد وقد اختلف في الصيراء (بالضم) قال الحافظ في التلخيص وقيل الطنبور وقيل العود وقيل الربط وقيل مزر يصنع من الذرة أو من القمح وبذلك فسره في النهاية . والمزر بالكسر نبيذ الشعير . والمتصد في الصيراء ما قاله في النهاية من أنها من الأشرطة والقنين قبل لعبة للروم يقامرون بها وقيل الطنبور بالحشية فظهر بهذا ان الحديثين ليسا في موضوع الممازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في هذه الأمة خصف ومسح وقذف » فقال رجل من المسلمين ومتى ذلك يا رسول الله قال « اذا ظهرت القيان والممازف وشربت الخمور » رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب : أقول وقد أخرجه من طريق عباد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورؤوس البدع الا انه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره وقال ابن عدين أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال يحيى بن معين ليس بشيء والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اتخذ النبيء دولاً والامانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فامسحهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والممازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات نتاج كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً » رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول ان راويه عن أبي هريرة هو رميح الجذامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبيت طائفة من أممي على أكل وشرب وهو ولعب ثم يصبحون قردة وتخنازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتنسفهم كما نسف من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضررهم بالدفوف واتخاذهم القينات » رواه أحمد . قال في المنقح وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أمحق المزامير والكبارات » يعني البرابط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن . قال البخاري عبيد الله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيى بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء . وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبمعوا القينات ولا تشروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٦:٣١ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحديث في مسنده بلفظ « لا يجل ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم (٩) عن ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق في القلب » رواه أبو داود مرفوعاً والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني يناق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماماً للبحث

وقد رأيت أنه لا يصح من هذه الاحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قبل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير اللهو فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿ أحاديث الاباحة ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام مني) وعندني جاريتان تغنيان بغناء بهما فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فأنتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » وفي رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا « فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفي أبواب منفرة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وإنما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان دائماً يسمع

(١) وعنها أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما كان معكم من هو فان الأنصار يعجبهم الا ب » رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله « ما كان معكم هو » : في رواية شريك فقال « فهل بعشم جاربة تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا قال ؟ تقول

اتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الاحمر ما حلت بوادىكم
ولولا الخنطة السمراء ما سمنت عذارىكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس علي فراشي كجلستك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من ابائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت علي قرظة بن كعب وأبي مسعود الا نصاري في عرس واذا جوار يغنين فقلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

(النار) الخلاف في السماع وتزجيج أحاديث الإباحة ٤٣

يفعل هذا عندكم؟ فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قدر خص لنا
اللهو عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن يريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازبه فلما انصرف
جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله أني كنت نذرت أن أدرك الله صالحا أن
أضرب بين يديك الدف وأتغنى: قال لها «ان كنت نذرت فأضربي والالا» فجعلت
تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان
وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استنها ثم قعدت عليه . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، اني كنت جالسا وهي
تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف» رواه أحمد
الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

﴿خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعازف وأدلتهم﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ما ورد فيه مما يحتاج به .
وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعازف وهي آلات اللهو والدف منها قطعاً
وغناء القيان وهن الجوارى المغنيات وقد رأيت في أحاديث الإباحة إباحة العزف
بالدف وغناء الجوارى وانقاد نذره . ومما ينبغي الالتفات إليه أن كلام أبي بكر وكلام
عامر بن سعد يدل على ان الناس كانوا يتوقعون حظر السماع واللهو لاسيما أصوات
النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس
بتحريم السرور فيها كالعيد والعرس وقدم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة
بصحتها وضعف مقابلها ونكارتها ، وبكونها على الاصل في الاشياء وهو الإباحة ،
و بموافقها ليسر الشريعة وسماحها وموافقها للفطرة . وهذا لا ينافي أن الانصراف
الزائد الى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت
كثيرا من أئمة العلماء الزهاد شدد التكبير على أهل اللهو لما كثروا وأسرف الناس فيه
عندما عظم عمر ان الأمة واتسمت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد
من المصنفين فرجحوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم
سماع الغناء مطلقا وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعموا

٤٤ سماع الصعابة والتابعين للالحان والأوتار (المنار)

انه دف مخصوص لا يطرب وانه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحيى
خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل
الاطراف قال بعدما أورد ما تقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الغناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى
التحريم مستدلين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة
من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود والبراع ، وقد حكى الاستاذ ابو
منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء
بأسا ويصوغ الالحان لجواربه ويسمعها منهم على أوتاره وكان ذلك في زمن
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا
عن القاضي شريح وسميد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعبي .
وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي الدم : نقل الأثبات من المؤرخين ان
عبد الله بن الزبير كان له جوار عوآدات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود
فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فناوله اياه فتأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي
قال ابن الزبير يوزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن
سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على عبد الله بن عمر وفيهين جارية
تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهم شيئاً قال انطلق الى رجل هو أمثل لك
يبعا من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهم
فقال لها خذي العود فأخذته فغنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة
وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الاندلسي أن عبد الله بن عمر دخل
على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لابن عمر هل ترى بذلك
بأساً قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص أنهم سمعا
العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من
عزة الميلاء الغناء بالزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والزهري
عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواربه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مفتي المدينة . وحكى الروياني عن الثقال ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف » وحكى الاستاذ أبو منصور والفسوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب المكي في قوت القلوب عن شعبة أنه سمع طنبوراً في بيت المنهال بن عمرو المحدث المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع أنه لا خلاف بين أهل المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل المدينة قال ابن طاهر واليه ذهب الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة كلهم (١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاه أبو الفضل بن طاهر عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاه الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاه ابن الملقن في العمدة عن ابن طاهر وحكاه الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاه صاحب الامتاع عن أبي بكر بن العربي وجزم بالاباحة الادفوي - هوؤلاء جميعاً قالوا بتحليل السماع مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع ان الغزالي في بعض تأليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفزاري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه بالعبادة والذكر

« قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبه وأبو عبيدة بن الجراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه

(١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

٤٦ سماع التابعين والأئمة الأربعة . أدلة مانعي السماع (المنار)

البيهقي أيضا وحجة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحسان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبد الله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورباح المضر كما أخرجه صاحب الأغاني والمنيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره . وأما التابعون فسميد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسميد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن ابراهيم الزهري . وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عيينة وجهور الشافعية أنهى كلام ابن النحوي « واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكرهته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحران والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تجريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو أبي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث الخطر مانعه :
« وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل مانعه فموضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد واقفه على تضعيف أحاديث الباب من سيأتي قريبا . قال الحافظ في الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه ؛ وأطال الكلام في ذلك بما يكفي « اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) ان في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيد عن يحيى بن معين انه ليس بشيء وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويحجابه عنه بأنه من رجال الصحيح

(والثالث) ان الحديث مضطرب سنداً وممتناً . أما الاسناد فلا تردد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم . وأما متناً فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ « ليش بن أناس من أمي الخمر » وفي رواية الحر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف . ويحجابه عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان انه سمع أبا عامر وابا مالك الأشعريين قتبين بذلك انه من روايتها جميعاً . وأما الاضطراب في المنفق فيحجابه عنه بأن مثل ذلك غير قاذح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض الالفاظ الحديث نارة ويذكرها أخرى (والرابع) ان لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويحجابه بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من المدل مقبولة —

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالاته فقالوا لا نسلم دلالاته على التحريم واسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) ان لفظة « يستحلون » ليست نصاً في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتقدون ان ذلك حلال . الثاني ان يكون مجازاً عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويحجابه بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملاسة بنحو الخطاب واما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملحي إلى الخروج عنها (وثانيها) ان المعازف مختلف في مدلولها كما سلف واذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة ولغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنها إما ان يكون مشتركاً والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازاً

ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظرات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس بانقطاع سنده هنا . وقد علمت انه ليس فيه الالفاظ المعازف وعرفت معناه وانه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويحجب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لأن اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على أن الراجح جواز استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقر في الأصول (وثالثها) أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترفة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ « ليشربن اناس من أمي الخمر تروح عليهم القيان وتعدو عليهم المعازف » ويحجب بان الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط والا لزم ان الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم الا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وأيضا يلزم في مثل قوله تعالى ٦٩: ٣٣ « انه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ ولا يحض على طعام المسكين » انه لا يحرم عدم الايمان بالله الا عند عدم الحض على طعام المسكين فان قيل تحريم مثل هذه الامور المذكورة في الايتمام قد علم منه دليل آخر فيحجب بان تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضا كما سلف على انه لا ملجى الى ذلك حتى يصار اليه (ورابعها) ان يكون المراد يستحلون مجموع الامور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الانفراد وقد تقرر ان النهي عند الامور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويحجب عنه بما تقدم في الذي قبله

واستدلوا ثانيا بالاحاديث المذكورة في الباب التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في اسانيدها ويحجب بأنها تنهض بمجموعها - ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها ان تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما احاديث النهي عن بيع القينات والمغنيات فإنها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث « ان الغناء بنبت النفاق » فإنه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في اماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنه عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «إنما نهيت عن صوتين أحق من فاجرين صوت عند نعمة هو ولعب ومزاهر الشيطان وصوت عند مصيبة وخمش وجه وشق جيب ورنه شيطان» وأخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعاً «إن الله يفيض صوت الخلل كما يفيض الغناء» والأحاديث في هذا كثيرة قد حنفت في جمعها جماعة من العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الأيربلي والذهبي وغيرهم «وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضمهها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية وقد تقدم ما قاله ابن حزم وواقفه على ذلك أبو بكر بن العربي في كتابه الأحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي في العمدة وهكذا قال ابن طاهر أنه لم يصح منها حرف واحد والمراد ما هو مرفوع منها والأحاديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٦:٣١ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» قد تقدم أنه صحيح وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم فقال أنهم لو أسندوا حديثاً واحداً فهو إلى غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ومن الناس: الآية أنهما فسرا اللغو بالغناء قال ونص الآية يبطل احتجاجهم لقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافراً ولو أن شخصاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزواً لكان كافراً فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا ليضل به عن سبيل الله انتهى - قال الفاكهاني أني لم أعلم في كتاب الله ولا في السنة حديثاً صحيحاً صريحاً في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأنس بها لأدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٥٥:٢٨ «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وأي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء والمفسرين فيها أربعة أقوال - الأول أنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم. والثاني أن اليهود أسلموا فكانوا إذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث
أهمهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أهمهم ناس من أهل الكتاب
لم يكونوا هودا ولا نصارى وكانوا على دين الله كانوا ينتظرون بمث محمد صلى
الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمسكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان
الكفار من قريش يقولون لهم أف لكم اتبعتم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم
وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من
هذه الآية انتهى . ويجاب بان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللغو
عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة فخرج المدح
لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

«ومن جملة ما استدلوا به حديثنا «كل ملو يلهو به المؤمن فهو باطل الاثلاثة ملاحظة
الرجل أهله وتأديبه فرسه ورمبه عن قوسه» قال الغزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله
وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب
صحيح لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلبي بالنظر الى الحبشة وهم
يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك
الأمر الثلاثة

«أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم
من انه حديث منكر وأيضاً لو كان سماعه حراماً لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم
لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ولنهى عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان
عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعه فيحتمل انه
تجنبه كما كان يتجنب كثيراً من المباحات كما تجنب ان يبيت في بيته درهم أو
دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار
على الراعي إنما كان لعدم القدرة على التغيير لأننا نقول ابن عمر إنما صاحب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار
فيه دليل على عدم التحريم

«وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ١٥٧:٧ «ويحل لهم الطيبات والمحرم

عليهم الخباثت» ووجه التمسك ان الطيبات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستند وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المائتي الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيبات المستلذات . ومما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ما قاله المجوزون انالو حكماً بتحريم اللهب لكونه لهواً فكان جميع ما في الدنيا محرماً لانه لهو لقوله تعالى ٤٧:٣٦ «أما الحياة الدنيا لعب ولهو» وبجواب بأنه لا حكم على جميع ما يصدق عليه مسمى اللهب لكونه لهواً بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما عمل في الآية بعلّة الاضلال عن سبيل الله لم ينتهض للاستدلال به على المطلوب

« واذا تقرر ما حررناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محلى النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتتاً على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال ، والهجر والوصال ، ومما قررة العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، ومم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطول ، وأسير بهوم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيقاظ للبحث فعليه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا ينعقد . وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانعين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الإباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٤٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ وَقُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * ٢١ : ١٨ بَلْ نَقِذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في المغلوبين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يعتدروا عن
أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين
ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ،
والقاهرين في حكمهم ، ان يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعلو ولا
يعلى ، وأن الحق هو الذي جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، . وقد يعتور
الامة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها
اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وأنها
حليفة الحق في الطورين ، لم تعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله
تعالى في الافراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ما ظفر ، ويعتذر عنها بالقوة اذا هو غلب
وقهر ، وهذا الغرور من الانسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى
كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما نقل الينا قول عن غالب يتعزز فيه بالقوة على
الحق ، الاتلك الكلمة الماثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها
مثلا ، وهي لاتصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غلب الحق لما كان حقا . والحق أن
الحق قد يخفى ، وقد يترك وينسى ، ولكن ما صارع الباطل الاصرعه ، ولا قارعه
الا وقرعه ، « وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت
شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو مالا
ثبوت أو لا تحقق له في نفسه ومالا ثبوت له ولا تحقق لا يمحى ما كان ثابتا متحققا

كما هو الشأن في الموجود والمعدوم والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية ، وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان إلا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب واننا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول ان الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية، الوجود والسنن الكونية (٢) السنن الاجتماعية (٣) القوانين والمواضع العرفية (٤) الدين والشريعة الإلهية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم المحق والمبطل فيقول من يظن ان الباطل يغلب الحق ان كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك ان الباطل كان هو الغالب فان كنت تقول لا عبرة إلا بغير دائم ، فانك لا تقدر ان تثبت الدوام لحق ولا لباطل ، فيكفي في اثبات قوة الباطل وظهوره على الحق ان يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وان كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأغلبها في الإبهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله الى إحدى اليقينيات التي لا نزاع فيها . ويبان ذلك أن المسألة مادامت نظرية من الجانبين فالتنازع إنما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إفادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وإنما هو موقوف أو باطل يعارض مثله فاذا انتهى أحد المتناظرين الى اليقين البديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان الغلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العمليا وغير العمليا ذلك الزمن الطويل إلا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول ان في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

٥٤ الحق في الوجود وسنن الكون (المنار)

المنطقي وأعني بكونه حقا ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فإذا كانت المقدمات مسلّمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فإذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه إلى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقنعه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلا ومن ناحية الباطل قد أخذ - وهو ماسله من المقدمات - لا من ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجمت في هذا الاصل بالأمثلة والشواهد التي تجليه أكمل التجلي ولكن القصد بهذا المقال إلى غيره مما يرى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كلّ وجود حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والخلقة فهو حق والخلل فيها باطل لا يحقق له، والخلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفلتات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٣:٦٧ « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٢ « الذي أحسن كل شيء خلقه . » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والخلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فمن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب إلى الحق وكانت له الغلبة بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بمقتائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المغلوبون بجهلمهم وباطلهم وان كانوا يجهلون ان علم من سادوهم هو الحق وأنه سبب لسيادتهم، وانهم هم بجهلمهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات ليعلمون » ويقول ٢٢: ٤٥ « وخلق الله

السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون*» وفي
معناها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بان سعة العلم بالسماوات والأرض من
الحق الذي نعتز به الامم، وان جهلت الامة وهلكت، فقد جزيت بما كسبت،
وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

للكون سنن في تكوّن الأ حجار الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نموّ
النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الاجسام وافتراقها وتحللها وتركيبها وهي ما عينناه
بالاصل الثاني . وللشعر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسيرون
وفيها يتقلبون قوتهم وضعفهم وغناهم وفقروهم وعزهم وذلمهم وسيادتهم وعبوديتهم
وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لا تباع سنن الله في السير على أحد الطريقين
المتار اليهما بقوله تعالى في الانسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن
حق وتنكبا خروج عنه الى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الامم،
هم الآخذين باطراف السعادة من أمم، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين
من حيث هم مبطلون وهو ما به الاختلاف وان كان الغالب القاهر مبطلا في شئ
آخر والمغلوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها
سننا ثابتة لا تتبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨ : ٣٨ «قل للذين كفروا
ان ينتهوا ينفروهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين» أي فانه
يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على
الانبياء وأحوال الامم في سورة الحجر ١٤ : ١٣ «وقد خلت سنة الاولين*» وقوله
في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣ : ١٣٨ «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بعد هذه الآية «ان
يمسككم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» الآيات
فهذه الآيات الينيات حق وما ترشد اليه من سنن الاجتماع حق فالجهل
بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الامم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الأرض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولاً تعتبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك ولن يكون . ومن العجائب والمعجائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي توارىخ الامم بعده رجال الدين منهم جانبا على الدين صادًا عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الأزهر !! فأين هذا الدين الذي يعد العرفان بسنن الاجتماع صدًا عنه وجناية عليه من القرآن الذي هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهديّة بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون ويسودون ، وهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦: ١١ «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين» ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» فسروا الظلم ههنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبعه امرؤهم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لأنه منزه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل وال عمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالأخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاريخها مادامت الأمة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقا في عرفها حاقة له فاذا رجعت الأمة عن عرفها أو الدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يعد ذلك حقا لان حقيقته لم تكن لذاته وإنما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوروبا على الممالك المشرقية وافتياها على حكومات هذه الممالك تركيا فما دونها وقد علم من القوانين العامة أنه ليس لدولة أن تفتت على أخرى في ادارتها الداخلية ولكن أوروبا تفتت وتغلب فهنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي ان أوروبا سلبته من تركيا في مصر أو كريت مثلا ما أن يكون حقا طبيعيا يملك ويحفظ بمقتضى سنن الله في الاجتماع البشري أو حقا عرفيا يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فان ادعى المدعي الشق الأول فاننا نمنع دعواه ونقول ان سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تنيط الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والاصلاح في الارض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الأمة المستقلة العارفة بحقوقها ثم القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوروبا فلاحق طبيعي هناك .

واما الحق العرفي فقد قلنا انه ليس حقا ذاتيا وإنما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد تفتت الدول الكافلة للقوانين العامة على ان لا تعامل دول المشرق بما تعامل هي به وأن تفتت عليها بحكمة حتى لا يفضي الاقتتات الى الحروب ، التي يخرس فيها الغالب والمفلوب ، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى . وذلك أن دول أوروبا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسيطان ، كما تقدم البيان مؤيدا بالقرآن ، فان قيل ان أوروبا تظلم في البلاد التي تفتت فيها: قلنا نعم ولكن ظلما دون ظلم حكام البلاد المفتت عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم : بمن الكون
ومنن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق
وأما قوله : القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب
الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب
حقاً أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظالمون في الحق غير الحق ان القضاة بظلمهم ووكلاء الدعاوي يحيلهم
وختلمهم كثيراً ما يؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : ونقول ان
هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكم
فلا قانون ولا شريعة وإنما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي
لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم
وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس
السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم
عادلاً والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم
الحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحجة والحجة ولم تنس ما قلناه فيها عند الكلام
في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه
قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والمعجز يخفيه : وقال المتنبي
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلملة لا يظلم
وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبهته غير صحيح
وإنما الصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسعين ، وهو

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

والتين والزيتون ۲ وطور سينين ۳ وهذا البلد الامين ۴ لقد خلقنا

الانسان في أحسن تقويم ۵ ثم رددناه أسفل سافلين ۶ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ أليس الله باحكم

الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بعهد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك أنه خلقه وجعل له من الحواس ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضار عنها ومن العقل ما يميزه بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلاح فهو مجبول على أن يختار ما هو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لا يكون الا بعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة للجهل بوجوده المصالح والمفاسد والمنافع والمضار سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب، والجهل من الباطل وبه ردت الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعته ينجون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم ينفعونها ويؤيدون حقوقها ففطرتهم تطالب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطيء في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد الفطرة والعقل يحدد لها الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارة وذلك هو الدين الذي نفثه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهر وافي معاهد منبت الثين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فصيح به امر الناس وسادا الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعملا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو صير يد مختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يعبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينها الله تعالى بقوله ٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض « وقوله ٣٩: ٧١ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد النج وقوله ١٣: ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل

٦٠ الانتخاب الطبيعي . تمثيل جمال الدين لغلب الحق على الباطل (المنار)

السيل زبدا رايا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » و بالآيات التي افتمحننا بها هذا المقال . ويمثل قوله ١١ : ٤٩ ان العاقبة للمتقين « وقوله في السجر الذي هو باطل لاحقيقة له ١٠ : ٨١ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ٨٢ ويحق الحق بكلماته » وقوله بعد ارشاد الأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٧ : ٨٦ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذاهما وجدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفطور على تغليب الحق على الباطل لولا ما يمرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلة عنه

ذكرت لصديق لي هذا المبحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني انه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الافغاني تمثيلا في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصرع الباطل ويضعفه فرأى الباطل ان لاطاقتة به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكبدوا للحق كيذا فجاءوه بلقون اليه السلم ويدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيطش بصديقتهم الباطل فكان ينتفض بقوة العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقالم عليها خوفا منه والباطل يسرح ويمرح آمنا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينها ولكن الحق ما عتم أن انتفض انتفاضة نسف بها أولئك المشاقلين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره .

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود ويثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق ويقاومه به وأن ذلك لا يدوم . فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الأرض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافنة للحق

(المنار) إزالة الامة لظلم الحكومة . إزالة الاجانب له . الحق في الدين ١٩

دائسته فيكون باطل الحكومة غالبا لباطل الرعية حتى اذا ما انتشر الظلم وتفشى
وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعا وصال على باطل
الحكومة الظالمة فجدله وربما جندلها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة
الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادة أو ظالمة تفتك بها وتقلص ظلها
ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون
إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آنفا ثبت أن الدين في جهلته حاجة طبيعية للبشر وان كانت أحكامه
التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون
فيها قاعدة الأصلاح والأنفع لهم . فالحق والباطل يجريان في الدين من وجهين
(أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب
موافقة للفطرة في تقويم الملكات وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشد الاواخي
بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنة الاجتماع وقواعد
العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيهما) كون عقائده راسخة في عقول الأمة
مؤثرة في قلوبها ، وآدابها حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامه محترمة عند
أمرائها وجمهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع
الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحد الامة في الاعتقاد
والعدل ولاهه القلب والسلطان على من ينازعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم
عنه من المعطلين لانه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي السوانين
والمواضعات العرفية التي تسنها الامم لانفسها وتعتقد أن فيه خيرا وحفظ حقوقها
كما تقدم وإما ان ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما اتفق له
أحدهما فقط كما ساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لانه حق من كل وجه
والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا
نصر المؤمنين * ولكن هذا النصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

٦٢ المؤمنون المتصورون . الشورى . العدل . هلاك الظالمين (المنار)

قال في آية أخرى ٧:٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥:٢٤ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم - الى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وقد فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الارض

ونقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشمل مثل قوله تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٢ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * ٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبنون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ٤٣ ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور * ومثل قوله ١٣٥:٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً * وقوله ٥ : ٨ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام بالقسط دائماً وهو العدل والشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غني ولا رحمة فقير مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣:١٤ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ١٤٣ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الأرض واهلاك الظالمين والمفسدين كثيرة جدا

(المنار) استيلاء أوربا على مسلمين . التوحيد ينافي الظلم . وقعة أحد . جنسية الدين ٦٣

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون إلى الإسلام وان لم يقوموا بالقسط والاصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يميز هذا الكتاب الحكيم لمدعي الانتماء اليه بالقول دون العمل اذا رأى استيلاء الأوربيين على بلاد المسلمين والافقيات على حكاهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول ان هؤلاء الأوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلابه لا يميز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الامم بالشرك اذا كانوا مصلحين في الارض بالعدل وسائرين على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الامم الظالمة مهما كان اعتقادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفا ومنها كثير . وأعظم عبرة للمسلم الكسار الضحابة مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الأجماع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ١٦٥:٣ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم» فكل من خالف سنن الله الحق يغلب على أمره بحق حتى يزجم وما أسرع رجوع المؤمن إلى الحق اذا زل عنه

لهذا أقول ان الوصول إلى حق اليقين في التوحيد ينافي الاصرار على الظلم، والتماهي في الفساد والبغي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلو لم يجعل الإسلام الأعمال الصالحة بعد ترك المفسد سياجا للإيمان وعنوانا له ودليلا عليه وشرطا لاجتماع ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافيا في الدلالة على أن الموقن بعقله المدعن بقلبه لمقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواء ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وإنما رضوانه بالتماس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرف السنن والاحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ١٧٥ : ٣ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سننته في الايام يداولها بين الناس ٩٠:٣ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلنون ان كنتم مؤمنين * فهل نطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم ان ينهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

٦٤ المؤمنون لموعودون بالنصر. آيات القرآن في الغالبين والمفلو بين (النار)

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لاهداية حقيقية ، فهم يرجون سعادة الدنيا والآخرة بالانتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبذلون ولا يتعاونون ، ولا ينظرون ولا يتفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والأرض يعمرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * ٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هو: لاء الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأييده « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام ديناً من العمل بكتابه والاهتداء بسنته في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الأمر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بمذلة وسلط عليهم من هم أقرب الى الأخذ بسنته منهم كما توعدهم بقوله ٦٠ : ٧ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والمبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الاتيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبتكار المسائل التي لم يفتقرها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتدينا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الأزمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم، والآيات المبينة لسنته في الأمم المسنحة للإهلاك والاذلال، ويعرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلبته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأمي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحي من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آناً بعد آناً بروية آياته تعالى في الآفاق وفي ترقى البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
 فعلى المسلمين ان يعلموا انهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ وما
 أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم
 وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستعلائهم، وعلى العقلاء وأهل البصيرة منهم - وهم
 محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون
 الكلمة عليه، الا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليهم ان
 يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المبطلين، ولا
 يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود
 اليهم، ان الاسلام لا ينصر في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينجي في الآخرة بالخرافات
 والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء
 أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فويل يهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧
 قل ان آتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره
 تعالى لقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون،
 ٧: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ولا تغتروا بدينكم الذي اليه
 تنتسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ١٩
 : ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أتوا
 أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٥٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *
 وقد أنذركم ما حل بهم لعلكم تعبدون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
 ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما
 آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها بركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أترقتم فيه ومساكنكم لعلكم تستلون * ٤١ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين * ٥١ فما
 زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض
 وما بينهما الا عينين * ١٧ لو أردنا ان نتخذ لها ولا نتخذناه من ادنا ان كنا فاعلين *
 ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

أثار علي بن الحسين

﴿أجابة سؤال﴾

﴿أو نقد شرح ديوان أبي تمام﴾

لاديب متفكر ، تأخرت عدة أشهر

للقد على العلم فضل يذكر ، ومنه لاتنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنميه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، واذا أبيض النقد في أمة واستحبه ابناؤها ، وعرضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائدا لها الى بحاج المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشعرون بفوائد النقد وما يعود عليهم من ثمراته الشبيهة فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها وبيان صحيحها من فاسدها وبالامس اطلعت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثا في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قداقترح على المشتغلين باللغة قدما علقه عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عيّن جائزة لمن عثرفيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعة ، واستمدلت منه على كبر نفسه ، وعالوهمته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة ، وها أناذا قدأجبت سؤله ووافيت رغبته في الإشراف على ذلك الشرح ثم نقد مائتين لي انه رمى في تفسيره الى غير معناد ، او حمله على غير ماأراده قائله منه ، قال :

(ص ٢) قد كان خطب عائر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العائر الساقط والإقالة الاخذ باليد) * حقيقة العثار ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط واذا عثر قيل له لعالك أي انتعاشا ونهوضاً . قال في الاساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجد عثوراه وعثار زمان المرء وعثار جدّه

* نودع عبارة الشارح المتقدمة بين قوسين ونضع ايزاء كل بيت عدد الصفحة

التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحول حاله ومفاجأة النوايب له . وحقيقة الإقالة فسخ البيع وإبطاله قال في الأساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه . ومجاز الإقالة يستعمل مع مجاز العثار . تقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سي . يقال خطب عاثر أي سي . فظيع منكر . ثم قال ان رأي الخليفة أقال ذلك الخطب العاثر أي أبطاله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقته وهي الساقط كما قال الشارح وإنما المراد مجازه كما ان المراد بالإقالة مجازها وتفسير الشارح لها بالأخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنعشه ونشّطه والشاعر يرمي الى غير هذا . وقد فسر الشارح الإقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت .

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارتموا فنا خالد من غير درب لكم درب
(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حوالها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا . والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنها وأيبت
(أيبت أقامت) أيت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأيبة بقمة تبواتها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر * باي كتاب ام بأيبة سنة * وورود نأينا بمعنى توقف وتمكث لا يجوز لنا استعمال أي بمعنى اقام كما لا يجوز لنا ان نقول باء بالمكان بمعنى تبوأه وإنما رسمت تاء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها صر بوسة ابتغاء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)
(ص ٦١) واحيا سبيل العدل بعدد ثوره وأنهب سبل الجود حين تعفت

(أنهب قوم) أنهب السبيل أوضحها وأظهرها بعد عفايتها واضمحلالها . وقومها عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص ٦١) به انكشفت عنا الفياضة وانفرت جلايب جور عمنا واضمحلت
(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعت وانفرت الأديم

انشق واذا أسند الى مثل الجلايب فسر بالانكشاف والانحسار مثلاً . ومثله
تفرّى الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا القبيل جاب ومعناه قطع
كقوله تعالى « جابوا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلمة أو انجاب الظل
فسراً بانكشفت وتقلص مثلاً .

(ص ٦٤) ان الهموم الطارقاتك موهنا منعت جفونك ان تذوق حثاثة
(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل
أو نحو نصفه اما الموهن فعناه الثاني منهما . فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من
الليل أو نحو نصفه لا الضعف . والطارقات الملمات ليلا فالموهن في البيت بالمعنى الثاني
(ص ٦٦) من كل رعبوبة تردّي ثوب فيناها الأثيث
(فيناها المتفنن في نسجه) يطلق الفيان على الرجل الكثير الشعر ويطلق أيضاً
على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيهاً له بأفذان الشجرة اذا التفت وتكاثفت
فالفيان من الفن وهو الفصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوبا من
شعرها الكثيف

(ص ٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة نظلم الدنيا لنازحها
(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي
الى مفعولين ثانيهما محرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة
والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته
عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص ١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهما من حسنها البرد
(البرد المتبادر انه جمع بر بدهوما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقل عن الفائق
البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بريده دم) أي محذوف الذنب
لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فعرّبوا « بريده دم » وخففوها الى
بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد
وكانوا يقطنون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد
بريداً ومنه قول بعض العرب الحمى بريد الموت والحديث « اذا بردتم الي بريدنا

فاجملوه حسن الوجه حسن الاسم» وسميت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع الآيات وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار الممدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمي متونها ورب القنا المناد والمتقصد
(المناد المتحرك) أود العود اعوج وآوده واوده حناه وعطفه فتأود واناؤد
المحنى وانعطف والمناد المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالرياح التي بوشر الطعن بها
فمنها ما تنكسر ومنها ما اعوج وانحى من شدة الطعن

(ص ١٠١) اذا مادعونا باجلح ايمن دعاه ولم يظلم باجلح انكذ
(اجلح شديد مقدم) يقولون يوم اجلح واضلع أي شديد وقالوا جلح على
الشيء من باب فرح أي أقدم عليه اقداما شديدا وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي
منه التفضيل على افضل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحسار
الشعر عن مقدم الرأس كالصاع أو اخف منه يريد الشاعر ان الممدوح الذي فتك
ببابك ان كانت جلحته مباركة علينا ودعونا لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشؤومة
على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلح انكذ . ونسبة اليمن والنكذ الى الصلعة
معهود كاستبته الى الوجه والطلعة (له بقية)

﴿التقريظ﴾

﴿الحصون الحميدية * لمحافظة العقائد الاسلامية﴾

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر
الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة
السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى
وعلى الجوهرة وآخرم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ما هو سلي كالقدم
والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود
والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر لصفات المعاني
من التعلق ما ذكرها حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطلال في باب النبوات أكثر مما أطلالوا فذكر أشهر معجزات الأنبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو أنها جائزة عقلاً إذ لا يترتب على فرض وجودها مجال وكل جائز في العقل فقدره الله صالحة لتعلق بإيجاده وقد أخبر الصادق أن ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه أيضاً ورداً لشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها إلى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردتها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام. قال ان الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق :

أقول ان مسألة ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج وورد في رواية أقوى منها في مناقب عليّ كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردتها ابن الجوزي في الموضوعات وتعبه في الآلئ وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (عليّ) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعلي صليت؟ قال لا قال « اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذكور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي رمي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس ليوشع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فانه ورد بضعفة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبياء وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنده في الآحاد عدم فتح باب انكار الجزئيات لئلا يفضي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات. فهو يقول

مادمننا نو من بقدره الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان ننكر شيئاً يؤثر عن أصفياء الله تعالى وان كان مخالفاً لسننه فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته في بيان دفع ما يرد على هذه الخارقة بعد التصريح بإمكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التي تدور لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر آخذاً بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويفرق أهلها: قلنا ان القادر على إيقاف الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابماً للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما السلام . لأننا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الخارقة للعادة التي ينشأ عنها اهتمام ألوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الإيمان الذي يحييها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالإيمان ممن آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداها ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه الحكمة العظيمة توازي في العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليها أن تحصل تلك الخارقة لاجلها . على أن ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلامهما تحت تصرفه ومشيتته ولا يعظم شيء منهما لدى عظمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو أعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الأرض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطالب وقوف الأرض أو عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الأرض ولم نسمعهم يقولون طلعت الأرض أو غربت أو وصلت الأرض لمقابلة نور الشمس أو فارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة إذا علمت ما قررناه ، واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه ، فاعلم اننا معشر المسلمين آمننا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسوله الكرام ، يهدي ويثبت بها الألواف من الأنام ، اه بحروفه ولا يحسبن القاري أن الاستاذ المؤلف يحكم بأزمن أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام يعد ملحداً لتعبيره عن المعترض بلفظ الملاحد فانه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أي حديث من أحاديث الآحاد وان صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثاً ضاعفياً أو منكرها باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحداً اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشي ء ثبت عنه عنده ثم ينكره اعظمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الأحاديث لعل في روايتها أو روايتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعله من ذلك لا يعد ملحداً ولا مبتدعاً ولا عاصياً ولا منحرفاً عن سبيل المسلمين لاسيما إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلها مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجح عنده أن من جرح روايتها ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان هاذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيد برواية

الحديث فيها الذم يرد أن كافراً آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برويتها . ولا شك أن هذه الحارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقلت لأنها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب المصاحبة ونحو ذلك فلو تحدي بها لرحي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل روايتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضح السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو تحويرها أو ازلتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول وان الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان، في رواية مطعون فيها من المحدثين، فهي لا تنفيذ الظن فضلا عن اليقين، واننا نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحميدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السمعات. وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولاً مشهوراً لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم. الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله ممن لا علم لهم بحقائق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الي انكار ما ثبت به وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيئاً مجعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة. والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصم اختياراً .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وثمن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة - أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة إفرنجية مشهورة معروفة المعنى وهو ما يأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بن فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكفحة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهيرة) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهيرة وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشاً في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في غيره . والقصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونمى بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . ومن النسخة الواحدة منها ستة غروش . وهي تطلب من صاحبها في عزبة الزيتون بضواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتب العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه (الطبيب المصري) قصة أدبية أخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي المرادي من عمال نظارة المعارف ولم تمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتيها لنبدي فيهما رأياً فاكتملنا بالتعريف اعترافاً بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . ومن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة إلى السفر بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتحة برسم الاستاذ الإمام وترجمة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فترجو لها العمر الطويل ، ونشي على صاحبها (محمود بك حسيب) الثناء ، الجميل والمجلة شهيرة يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في غيرها

(الآباء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في خارجها فتتمنى لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء

(الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحى الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فتتمنى لها الرواج وترجو لها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالدفاع عن الأوقاف فتتمنى لها العمر الطويل والخدمة النافعة

بَابُ الْحَبْلِ الْأَخْضَرِ

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأشير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ما أضفت وكتب الينا بعض أهل الفيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسماع الدعوة إن وجدت . ومن ذلك ما كتب اليناه بعض الفضلاء من سنغافوره وهو :

« قد أسرني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجا بان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحيينا أن نكاتبه ونمن بما نقدر عليه فوصلنا منه ما رونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجعوه الينا ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يوئلف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية فمضى ولعل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالماً بمخمة آلاف روبية لينذهب الى جا بان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الأخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرها ولكننا لانوافقكم في أن سروات مصر لا يكتشون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتسبون سنويا لعيد الجاوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعلق بذهنه فضلاً عن أن يثيب على ذلك فن لا يبخل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلانزيدكم توصية بالترار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الفيث قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من شنغاي بعبارته قال الكاتب بعد رسوم الخطاب « احاطة علمكم ما هو محرر بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابه بعض عبارات في مجلة شو كيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية وتطلبوا الإفادة عن (ادريسه) فلا خسر شرحكم فهناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه . غير أنه قد تمجبنا من ذلك لعلنا به ندم وجود هكذا شخص بالصين أهلاً لذلك ونأسف كما بأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجل وهم أحوج الناس إليه « ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفراي حسين) ولعله هذا الذي يعنى عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزا كما ومنها الى ناكازا كي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطاب بهذا المعنى والآن نجمل محل اقامته كما نجمل (ادريسه) الأ أنه يمكن نحرره بالاسم المشروح أتلاه بالانكليزي الى بوكاهاما أم ناكازا كي . وغدا ان شاء الله سنحضر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليك الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تائبين حائرين على دين يعتقدوه (وان يكن منهم صار الحاظ الأ وفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أسماءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جملة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جدا وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط على مذهب الشافعي . . وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لا ننكر وجود جملة اسلام يعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العاليية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبة العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكررنا اهدنا ووفق وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب . . » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهرانه يريد بالجبان اليابان وبالادريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الغراء ما ترجمته :
 حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة
 نجاساكي اليابانية في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها
 المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة بالغة الانكليزية موضوعها التوحيد
 الاسلامي ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء
 أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين
 اللادي مس ريدلف كود الامريكانية وكانوا يسمون بكل انتباه وإصغاء . وفي
 اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرظة
 اياها أحسن تقر يظ وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح وهسرة عن
 التوحيد والنبوة وبعد عشرة أيام برحها الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اه

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصيني هو الجرائد الألمانية
 ولا ندري من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي الاسلام هنالك
 صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لأن أهل الهند أعلم بها من
 أهل الصين ومن لنا بمن يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعلمنا نجد فيها ما يطمئن
 له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في
 أن هذا العمل العجيب لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت
 أشعة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم
 وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني
 والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات
 المبشرين عند النصارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب الينا من سنغافوره ان
 المصريين وحدهم يضطلعون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيدظنه بقياس
 الجدل على الهزل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في
 المصريين لأملاً ما ولكي أعقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل
 الاقطار عليه . ويرجي بعد أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب المهمة العالية والغيرة
 الصادقة ان تصير ائمة به عامة وأن توقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمنع من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهو لاء قد فسدت فطرتهم فلارجاء فيهم ، ومنهم من لاهم له الا الاسراف والتبذير في سبيل الشهوات واللذات والفتخفة والزهو والخيلاء وأكثر هؤلاء من عبید الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته، وتحسن خاتمته، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فيبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين تفرقا أو يوقف وقفاً على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الضار والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وان كانوا قادرين وإنما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الاعمال العظيمة قليل، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل،

(منار السنة التاسعة - تنبيهات)

(١) انا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء أننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعاً لسلفنا وحفظاً لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما نذكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جعلها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءها غير الماهر في التلاوة وقد نبهنا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بعد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحرينا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع ما يذكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٩ : ٢٥ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والمشرعون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجمله في الاجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عند مشتركنا الى آخر السنة ولزمه اداء قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا اننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شد فأخلف ظننا فحسبه ان يكون حسن الظن فيه كاذبا

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا إلينا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركنا سينا فوراً وجاؤه والهند أن قيمة الروية الورق (بنك نوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الرويات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلعلهم يكفون عن إرسال هذه الاوراق (٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان في عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك . وقد حظرتنا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعا شيئاً من قيمة الاشتراك بعد وصوله إليهم الى المحصل الذي أقامه وكبل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبوخطيوة) فقد كتبنا اليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يجروا بأول له عنراً يظهر عن قريب . فارجو من فضلهم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الاجزاء الآتية نبداً من المباحث الادبية منظومها ومثورها ونذكر في الجزء الآتي كلاماً في المغرب الأقصى ومسألة العقبة وماشاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ونحسن الظن فيه فخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الالقاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلب الا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم الى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم ان هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وتربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحتقر من يتلوث بالخسة والذناء . وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لاثريية العامة . فن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يتعجب من تألم الناس هنا من الصناعات والخدم وتجاربهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذ وان اكبر خدمة تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية لهذه البلاد هي تربية اولاد الفقراء تربية دينية يرجى بها ان يكونوا صناعاتا وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال

كنا ظننا ان اللين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وهم من عامل ترك العمل لان رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يمسكون من أجور العمال شيئاً بمثابة الرهن فن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضاً لصاحب المطبعة عما يخسر به باهمال العمل الى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تباع البلاد والحماقة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليغيظ صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الايام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويسرع على أذكي الاذكياء وأفصح البلغاء أن يقنع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضار به وهذا نافع له كأن أقحافهم لمحيطه بأدبهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتزام . فتبا للمتفرنجين لمجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لعجام ، فاستحل أكثرهم الحرام، وخزمت بهم الأنام ، - هذا وان تأخير هذا الجزء عن مواعده كان لا متنازع بعض العمال عن العمل أياما وسيتأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتي و« منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الإفراط والتفريط مانصه
وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا إفراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهو لاء على مذهبين مذهب الأشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرا وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم إن الأشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الأشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون إن الله تعالى فعل عندها لا بها ويقولون إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الأشعري إن الله

١٠٢ كسب الأشعرية والجهمية - مذهب السلف في الكسب (المنار)

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الأشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقذور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبتته الأشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الأشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه واراادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الأشعرية ومن واقعته فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقها الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة قيل ومذهب الأشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة أتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختباره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الأشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجذمي ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا؟ انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعمًا منه انه ليس المشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه الشرع والمنال

(المنار) الأسباب وأفعال البشر وتأثيرها ١٠٣

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بدله من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الشجرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (٦٣:١٨) وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٧٨:٤ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعلمون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء، وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقوهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقوهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فاعله الله خالق وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهنم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيئا من الحوادث افعال الملائكة والجن والأانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

٩٠٤ فعل العبد بإرادته . تأثير الطبايع . مذهب امام الحرمين (المنار)

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققى أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد و ارادته و فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبايع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيرا) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبايع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في العبادات (وأخرجت الارض أثقالها) وقال (واهنزت وريت وأنبئت من كل زوج بهيج) وقال (ندمسر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياساء ألقعي وغبض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا مانصه :
ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته و ارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرته الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوله كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه اتى وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوله هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مثير عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب بعباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومما قبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلاوي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اليب المنصف به ومن نظرت في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعدتم وعصيتم وأيتتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضعت المهجة لئلا يكون للناس

على الله سبحانه وأحاط بذلك كما ثم استراب في ان أفعال المباد واقعة على حسب
ايتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في
مقدوره أصلا واذا طوب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في
الجواب طولا وعرضا وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه
المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق
أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
وتقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته
طالب عباده بما أخبرتهم بممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة
والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
أثوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه
ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول
بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورمطات
الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدره القديمه
فان الفعل الواحد يستحيل حدونه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدره
الله استقل بها ويسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدره الله فان
الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين
ان يدعي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال
هبة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
بجملتها باطلة ولا ينحى من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل
معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتب وأثر قدرته الاكتساب والرب
تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام
المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهر يا - ثم قال يعني امام الحرمين - فنقول

كلام امام الحرمين في الكسب (المنار) ١٠٧

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور وبالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وإنما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا وقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فاننا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الآله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيا أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاخترعهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلمها وقضاء وخلقها وفصلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقها وهو القدرة ولولم يرد وقوع مقدرها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المين فالعبد فاعل مختار مطالب بأمر منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزوا الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوج على المخالفة ويحاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا امرأ فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا نهى عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد من اجار به في التدبير موقعا ما أراد ايقاعه شاء الرب أو كرهه.

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام الحق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

(المنار)

خطأ الجمهور في مذهب الأشعري في الكسب

١٠٨

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بأن العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده أن العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وأن لم توافق مشيئة الحق بل إنما تؤثر قدرته إذا شاء الله ذلك وممكنه منه وهو المخير عنه بالأذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والآن فيه ما بقارسالة سماها الانتصار لإمام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحقاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه أن النقل عنه بالتأثير بالأذن صحيح خلافاً لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى «ومارميت أذرميت ولكن الله رمى» من غزوة بدر واعتقاد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وإضافته إلى الله وجعلهم ذلك أصلاً في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد فبسط الكلام في إثبات الكسب على طريقة إمام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة إلى أن نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسباً دون كونه موجوداً أو محدثاً فكونه كسباً ووصف للوجود بمثابة كونه معلوماً انتهى وفهموا من ذلك أن لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد أنها مصاحبة غير مؤثرة قصداً إلى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وإنما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الإفراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بأن لقدرة العبد تأثيراً ولكن بأذن الله لأعلى الاستقلال فاللائق أن يفسر كلام الأشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لأنه ليس نصاً في عدم التأثير فإن أوله يدل على أن الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي أن لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على أن الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على أن

الكسب عند الاشعري تحصيل المبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلق به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام المحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الاشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفراييني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفراييني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء - وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلب بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لا هلكه فليس للمبد قدرة الا بتمكين مولاة قال الكوراني فهو قائل ان للمبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا النمكن هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقيدتنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر تعلم ان محمدي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسيبتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يخلق السبب عند السبب لا به وأن المبد كسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزو هذا إلى الأشعري وكبار أنصاره ليعلموا أن كلام الأشعري ليس نصافي ذلك وأن أكبر أنصار مذهبه وهم إمام الحرمين والأسفرائيني والغزالي قالوا بخلاف ذلك فلم يبق إلا الباقلاني عليه فهل نحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الأشعرية

باب أصول الفقه

المنسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الأشغال وقد رأيت الآن أن أعود إليه بإيضاح يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الإسلام . الذين يعدون المنسخ في القرآن دليلاً على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كما لا كما تعتقد ويعلم هؤلاء المساكين أن ما يقدفونه به ليس إلا حصي لا تزحج طوداً من مكانه . ولولا غفلة المنجمين إلى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظانينهم أنها توله . القول بالمنسخ في القرآن ليس من عقائد الإسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالباً في العصر الأول أن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب . والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥:٣ «ما ننسخ من آية أو ننسها» لآية فكان إذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضاً في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم كأبي مثلاً يقول أبي لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أنه لا يترك حكماً ما بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضاننا علي وأنا لنُدع من قول أبي وذلك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد قال الله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » :
ولو كانت هذه المسألة من العقائد الإسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين
المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الأصفهاني وغيره . على أن المتسكين بها ليس عندهم
دليل يعتد به على صحة مذهبهم . ومنفسر ان شاء الله الآيات التي توهم أنها تفيدهم في
تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع ما أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة
بأخرى . ولا حمل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أولوهم واهم
وأبضا فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من
المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة
عن الناسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم
أن الآية المشار إليها نزلت أولا ولم يبالوا بأن ذلك يناقض ترتيب الآيات في سورها
وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع . اننا لا ندري لم كانت بعض الآيات
منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه
مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده
يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٤٣:٥٢) جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا) . فاذا كان مذهب النسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم
البيان أن يكون القرآن خاليا من التنيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من
أعجب العجب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على أن الآية أو الآيات الفلانية
نسخت بالآيات الفلانية!!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات ؟
ولم يتركون دعواهم النسخ في آية اذا تحققوا أن لا تعارض بينها وبين غيرها ؟!
غلا الناس في هذه المسئلة غلوا حتى انهم أرادوا أن يجهلوا هافنا من الفنون
التي تولف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ
على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معا (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ
حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب
البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناسخ إليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

(المنام)

الناسخ والمنسوخ . حفظ القرآن وجمعه

١١٢

اكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافق عليها القرآن فيختلق ماشاء أن يختلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتوارف في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطمن في التواتر نفسه . فالخطبة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر وبرفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء ما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسبها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جملها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحتب أن يكون له اثني) الى آخره . ولو عتل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلهما لا يمكن ان يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الا أبشروا أتم المفاجون » على أنها لا تخلو من تكاف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الأحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يعتمد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتح والمحدثين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يمتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابتها دون سواه فكتبه له كتبه الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

(المنار) كتابة المصاحف بلغة قريش والاجماع عليها ١١٣

السطور وبعد أن سمعها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو
ايضا منهم . ارتقت الأحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك
ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وليّ عثمان الخلافة أمر بالاقصا
على لغة قريش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة
الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبهذا السماع من الحفاظ وكان
ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة
رضوان الله عليهم وفيهم الحفاظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعا
على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدها تحقق أنه
لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهقرت دماء ولقتل
عثمان لهذا السبب ولو وجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل
شيء من ذلك مطلقا . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى
الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديما وحديثا
شرقيا وغربيا الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهو ناسخ . ويهيم على هذه المصاحف
آلاف الألوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الأزمنة . هذا هو تاريخ
القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الآحادية يجب رفضه
ولا يعاب به . وهذا هو الكتاب الذي تؤمن به وانهتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ
بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك
فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة
ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الالهواء ، وتمددت في شأنها الآراء ،
لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما نبى على حكايات
رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بعمدة تكفي لضياعها
أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها
فن تحقيق الأسانيد وتحريمها الذي لم يعرف الا عند المسلمين - لو كان الاسلام
كأديان الحق لأهل الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام - والله الحمد - دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الآحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الأحاديث الدالة على صحة الاسلام كالأحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئاً . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفراه مع أنه لم ينكر أصلاً من أصول الدين . فليتنق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواية أحاديث جميع الأديان والممال ؛ كم من حقي ضاع بين باطل ؛ كم من موضوعات رفضها المحققون ؛ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؛ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لأنه ليس معصوماً . فما هذا الجور يا أمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك ؛ ولولا أنتم لما وجد سفيه قشنا يضر بنا به .

ولنرجع الى تسميم موضوعنا فنقول أماما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئاً ولذلك أذكرونا أشهر الآيات التي تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الفليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: ٥ (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا أنها نسخت جميع الآيات الإمرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلاً لوجدوا أن أكثر هذه الآيات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات التي تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتاً . ومن القواعد الأصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلاً قوله تعالى (فاصفح الصفيح الجميل . وقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائماً فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لايجدي مع العدو نفعا ولايزيده الاطمينا
واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويفتصب أموالهم وأعراضهم
ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلا ولاذمة . لما تحققوا ذلك
وقبوا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة
العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الأذى والاحسان الى المسيء مأمور
بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد ويفضلان على الأخذ
بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين
آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ
والمنسوخ هنا لاختلاف المالمين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي
وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء ، وجب علينا
أن تكون خطته خطتنا فنحرب أولا اللين فان لم ينجع فالشدة . الا اذا خفنا أن يضيع
اللين من كثرنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال
(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم - وقال - وياخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا
لو تغفلون عن أسلحتکم وأمتعتکم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي
صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم
الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من القتل بهم

(الثانية) مسألة القبلة - لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس
فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندرى هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر
من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ١٠:٥٣
(فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليله المراج ولا ندرى جميع ما أوحاه الله اليه
في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يروى
اليه بشيء في منامه كرواياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٢٧:٤٨
(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت
هذه الرؤيا وحيا اليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح
ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وإنما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية، وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقاً

(الثالثة) قوله تعالى (٨: ٦٥) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين * قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكيم الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوىاء جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ما هذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أبطال هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ريك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعدم من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحدا منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم أمثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا كالتعليل لعدم إيجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثلهم فقط موقفاً إلى أن يقووا . فكأنه قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وإن كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر في المستقبل ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الأخير على الأول لأنه أبعد في الحاضر على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

(المنار) الصدقة قبل مناجاة الرسول . مانسوخ من آية ١١٧

(الآن) للدلالة على القصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال .

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم* ١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون* والمعنى أن الله ندبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤهم ونههم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ما سيأتي بعد ثم قال (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذ لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويربضه ثم قال (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أنخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فإن الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه ان تركتموه فلا تهاونوا في الواجبات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فإن الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فإن قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣ : (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (١٠٦:٢) مانسوخ من آية أو نسبها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى مانسوخ من آية نعيمها دليلا على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها وترك تأييد نبي آخر بها

أو نفسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فإننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقتناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسمة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة بمنحها جمع أنبيائه وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) إلى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية (السادسة) قوله تعالى (١٠١:١٦) واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أنا إذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا إنما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأهم مقيمون شرائع الله وحملته دينه للخلق جميعاً . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالأيات في قوله ٢٤:٥ أنا نزلنا التوراة - إلى قوله - ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدل على صحة تفسيرنا ورود بعض الأحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١١٤:١٦ (فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إلى أن قال (١٢٣) إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا وإذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد: أننا إذا بدلنا آية في موضوع ما بآية أخرى عند تكرار هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاكاة العرب وغيرهم توهموا أن

(المنار) المتخرجون في المدارس العالية والأسلام ١١٩

أن فيها تناقضا وتضاربا وقالوا إنما أنت مفتر كذاب والالما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشئ عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي انكرت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بإرشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مآفي القرآن ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نص على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الخيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشري لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا ؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه أنه لم ينهض لهم شيء منها في أي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فياقوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه . هذاكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلهم على القرآن وقد أطلال الغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعنا في الإسلام والفرص الأولى للدكتور محمد توفيق أفندي صدي من هذه المقالة رد هذه الشبهات على أنه يعتد صحة ما ذهب إليه ما هو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وان لنا كلاما آخر في هذه المسألة سنشره في جزء آخر وأنه ليس لنا أن نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعنى بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والأصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون إلا بهذه الطريقة لذلك تقبل منهم مباحثهم واستثبتهم مع الاغتياب والسرور ، والله عاقبة الأمور

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قلّ تولد الخلايا وكثرت فيها الموت حتى يهلك الجسم فتصل أجزاءه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي تعمل خلايا الجسم الجزئية تكوّن خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقرة على الخلية وما فيها من سنن النظام وقلمها يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعيته لا يستغني بالطبيعة عن تهادد بعض افراده لبعض بالعناية والترية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا وهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحي مستعدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة افراده فبمرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

(المنار) الأمراض الاجتماعية وأطباء الامم . أطوار الأمة الاسلامية ١٢١

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما أن لحياته الشخصية امراضا وان معالجة الامراض الاجتماعية أعسر، والتحقق بشروطها أندر، ففي كل جيل من الاجيال، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين، والصناع الماهرين، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال، ولا يمث طيب اجتماعي في الأمة، يرفعها من الخضيب الى القمة، ان حياة الأمة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون، تكون دون حياة الخلابا في الدوح، وحياة النجم والشجر في الروض، لأن حياة النبات قلبا يعوزها شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر. وافراده حينئذ يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الأمة فيتحرى فيه مصلحتها ويعرف اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقى عليك بشأن الأمة الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثلا لانتقال الامم من طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الأمة الاسلامية

كانت هذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى المملكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العدل، ويعمر الأرض، ويؤم من الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نبلا فشكاه الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

١٢٢ سلطة الاسلام الاولى. افساد الملوك والفقهاء للامة (المنار)

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحييتا وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلا بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم يزل من قبل فان انكسرتا وهي أعدل دول أوروبا لانساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلاثل ملوكها وبين صماليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يميزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدنا في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستئلال المحكومين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكامل المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الامي أو ثبه الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بميش صغير فأحياها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وأخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة الهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها عظماء سلفه كهرو وعمرو ينفذ الى قطر اسلامي كاليمين اليوم وكاسودان بالامس فيبني في الارض ، ويحبي على العررض والعررض ، فيتزك الارض موظوبة ، والاموال مسلوقة ، والدماء مسفوكة ، والاعراض مهوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

(المدار) هلاك الظالمين. ازهاقهم لروح التكافل. الجنس ١٢٣

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى إليهم ربهم تهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر
والعبودية حتى لا أمر بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على
رفع ضرر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الأمة واستعد الفريقان بعملهم لنقمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الأمة وبهذا كان الانتقام عاما
ولو كانت الأمة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم بيدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للأمة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشربه فتعالجه فكان أفرادها
يقدمون الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الثمرة يمرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان
شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى
دفع العرض الطارئ قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن
ينفعل مزاجه بما يمرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض باعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر ووروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والأمة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تمجز فتكون من المهالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فان الفساد
يطلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهد الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا
السلطة من الشورى الشرعية الى الاثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
الجنسية ، فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركى ، وفي اللغة ، فقالوا لغة رسمية ولغة

١٢٤ كلمتارئيسين في الوطنية. صد المساءين عن القرآن. اضطهاد ذوي الشعور (المنار)

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومفربي وحجازي ، وإذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرره بشرا فاننا اذ كررنا كلمتين لرئيس ديني ورئيس دينوي تعرف بهما مبلغ تسم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقفه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني - وقد رأى فيه حشرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره - : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الخيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جهل أمر المسلمين شورى بينهم لاني ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميتها حتى تبلغ كما لها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من ايدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزاع ولكن هذا مصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراد الامة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها النظام ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنة اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

(المنار) إيسال الحكومات للمسلمين . الأفغان ، 'ياس من المسلمين ٢٥

تنتال ، ويجد فيها لحرية فكره ولو بعض المجال ، والانفوه الى بلد قفر ، أوجزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجهة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة وما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحول السطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بحجم الأمة اقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجد في إيسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضمنا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليأس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم ايهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولارجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذ انظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلام المنسوبة الى المسلمين لاما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) . فاذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاري

١٢٦ ما تطاع فيه الحكام . الاستبداد كفر . الحظر على المسلمين (المنار)

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب الصبانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكاه ومجتهديه . ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين فيحييهم بحرارته وهداياته لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكام المسلمون فانهم سلطتين - القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجود الخضوع لهم على أنه من الدين وقلا يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقا من الاسلام (٢٤:٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء العارفون على قلتهم الا يسبح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبث لإقامة الشريعة على أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .

ويقول هؤلاء اليائسون أيضا ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتر بصون بياقها الدوائر وحكامها يهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم «الامتيازات» في بلادهم وهم يجتهدون دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا وراهم قد اكتسبوا حقا جديدا فيها أو قلعوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدبية وذللوا الأمة لسطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعمالها في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فينا أن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لا أنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة استبدادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب لجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا جعل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأهم ان طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل إلا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء - ونحن منهم - فانهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسدّ - ان شاء الله - وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، واننا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين - وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات - يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى ما يحبيهم ويجمعهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ما انتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتقى الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيراً على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم ما يكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعوة لإقناعهم بهذا وحملهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لاموت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس بينما في مقالة الحياة المليية من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرونا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد العقبات التي

نعرض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النقه من مرض تخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الأجماع وطرق معالجتها والا سبقتهم الأجانب لنحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مندبذة ينقطع كل رجاء للإسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينتشون في ألوأحها المستعدة ماير يدون على علم منهم بفايته وأثره . ومما نشاهد من أثره أن أكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مفرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشرية يتهايجلون تاريخها الذي لم يفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بنبر صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدينة المسالمين الاوابن الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها، ومالي لا أذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين، لجمعيات الرهبان والتسييسين ،

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعامة

في جهلهم بماقبة علمهم وعملهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يهاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجي ان يهتم بجمل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمة الملية بذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

اذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادقة والاتفاق أو بترك معظم نشأة الامة فوضى والهدف من يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم المصرية والتي يظن أن سيكون عليها وعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججاً لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصاً من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسايرين. يرى البصير في مصر والهند نابذة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابذة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابذة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجي ان تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية، تغوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابذتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الامة الآن الا اطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملاً ينبيء بمراقبته

١٣٠ عمل اللورد كرومر بمصر. الحاجة الى الزعماء والمصلحين. رأي عالم في المنار (المنار)

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وخاشا من فقدنا بالامس) الا ما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبره أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها استمدت اليها يد لا تعرف للتقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في مقبته، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمشدين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجعون لسيرنا بتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحاولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتضيرها الى ما فيه خيرها وسنفردهم مقالا خاصا بهم

فَتَاوَى الْمَلْبَاتِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد نمتأخر لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، وان يعفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله

﴿ أسئلة من سنغافوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(من ٦-٩) من خ م٠٠٠ في سنغافوره

تشرفت بلقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانجرت بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجرى ذكر المنار المنير فأثني عليه بما هو أهله ثم شافني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى ومعجبه للحقائق واني أرفع اليك هذا لترفضه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملاً منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سألتاه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق - وهذا ما قاله ذلك الحكيم -

ضرب الجهل أطناب خيامه في بعض البلاد الا سلامية التي كان لسلفها القدر المعلى في

(المنار ٩:٢) حال المسلمين . دعاء الموتى والتوسل بهم ١٣١

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجيد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد انكالا على مجيد من سلف حتى اذا ما عرا حادث انكلا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحى أمواتهم أهمهم مطعون على أي حادث عرا وانهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحا أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الاقامة بها شرفا وفضلا وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون جهله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئاً من كلامهم في نحو ما ذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ما جاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد ان لا يجهلنا على ما سبق وييسر لنا في جوابه على ما ذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزم من في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لاستصاله - فلعل ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا -

(المنار) ترجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي الناس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيرا من قراء المنار قد سئموا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجديد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفينا في بيان

١٣٢ مالاقياس فيه . عالم الغيب . أصول المحرمات (المنار ٩:٢)

بدعتهم في ذلك أن تقول إن ما تأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لا مجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٢١:٤٢) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أو طلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو تمسح به أو قصده للدعاء أو قال إن الدعاء عنده أرجى للجأبة طالبناه بالنقل ولن يجده . وإنما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصالح كانوا يتحركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصر والحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان - غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تقى وتقضى الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبا عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٢٦:٧٢) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على ما يريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضى حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبار الأئمة المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٣٢:٧) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

(المرار ٢:٩) الوسطاء والشفعاء عند الوثنيين وأهل الكتاب ١٣٣

على أن هذه المسألة - مسألة التماس دفع الضرر أو جلب النفع من غير الله استقلالاً أو بالوساطة والشفاعة - لم تكن لتترك فلا يبين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الأمم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أو خلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها، وإنما خالفهم في مظهرها وصورتها، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعاءهم. أفرايت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة ويدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركن وهو التوحيد؟

قال تعالى (١٨:١٠) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاونا عند الله، قل اتبوا الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعته عنده فهي لا تخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقرين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٤:٤٨) ولا يقبل منها شفاعة - ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة - ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة الانعام (٥١:٦) وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لهم يتقون * - ٧ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وذكر به أن يُسأل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) الآية ومعنى تبسل تسلّم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد. والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلاً

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلت في آبي الانعام أنفا ومثلها آية ألم السجدة (٤:٣٢) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

١٣٤ التوسل بالأشخاص باطل . خوف الأنبياء من الله تعالى (النار ٢:٩)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣:٣٩) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه مختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدل الآيات الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يعتقد المتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل بأشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم . ولذلك قال تعالى في سورة الإسراء (١٧:٥٦) قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعوهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصرُوا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذور في نفسه لأن الله فيه سنن لا تبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تنقبأ وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء . ولذلك قال (٥:١٧) قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير *) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأوليائه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضلهم عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده . فلا تغلوفي تعظيمهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لثلا نطلب منهم نفعاً أو ضراً . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٧:٢٥) انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

(المنار: ٩:٢) دعاء أصحاب القبور عبادة أصل الاعتقاد بالأموات ١٣٥

الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فأنزه عنه قوم قبله ذلك فخطب محمد الله واثني عليه ثم قال « ما بال أقوام يتزهون من الشيء أصنعته فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم إن ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣:٣٥) والذين تدعون من دونه لا يعلمون من قطير * ١٤ إن تدعوم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهى المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨:٨٢) وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد تقنوا برجال من صالحهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت إلى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وصاروا يتنون عليهم الكنائس أو ينسبونها إليهم ويتوسلون بهم إلى الله تعالى ويمتقدون أن الله يقضي حاجاتهم بإحسانهم أو أنه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الإسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالأموات وتذكير الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولمن فاعله ومن ذكروهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر زيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع أن الصحيح في الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشيء بعد النهي عنه إنما يدل على إباحته لا وجوبه أو نديه وهب أن الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد عللت بعلته تذكير الآخرة فإذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحظور الذي لم يأذن به الله ؟ ومن عجائب تلاعب الأهواء بالمبتدعين أن كل ما ررد من التشديد في بناء

١٣٦ القبور والصور والمائيل، ما ورد في القبور (المنار: ٩٢)

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع المرح عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به الا سد باب الاعتقاد بأن صالحى الموتى ينفعون الأحياء ويضررونهم كما ان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعير بالتعظيم لم يقصد به الا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبهم من أهل الكتاب الأمران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للهوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانا نطمح هذا الجواب بشيء ما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: يجند ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصارى . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (٧: ١٨٨) قل لأملك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا لا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أتياكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال « أولئك اذامات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال « لا تتخذوا قبوري عيدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبوري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الجوائج ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

(المنار ٢: ٩) كيفية عبادة القبر . شجرة المباينة . قبر دانيال . خصوصية الانبياء ١٣٧

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدركته الصلاة فليصل والافليض : وبلغه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتمها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بثستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ما سيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يكن عليها مسجداً ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك إنما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الأخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبتت وسويت وما ذكره في هدم المسجد النبوي على قبر تفل نحو ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرر أو جلب نفع لاعلى أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عبادة الخلق والتقدير وإنما حصر الوساطة بينه وبين عبادة بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسوله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

(المنار ج ٢)
٥٤
(المجلد التاسع)

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرّون على دفع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم وأبنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الأمر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون لمدعي الاسلام وجهه ما للدعوى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظّم الله ان تهودوا مثله أبدا ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج ٧) لاجحة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المنفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة انه قال « لا يحل لأحد أن ينفي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » ومن نقل عنهم ذلك الشعراني وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لكتاب الله . فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل اذا كانت قول الصحابة يخالفه قال أتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا . ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نأتمم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لبيان معناها

في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

(المنار: ٢: ٩) التقليد. الولاية واعتقادها لشخص معين ١٤٩

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر: ويشير إلى الروضة الشريفة وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول إلا بالاستدلال » وله أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه من أكثر الناس أقوالاً في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثير المجتهدون ممن تفقه في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع: فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ما جاء عن النبي وأصحابه فخذ: وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيوخه وشيوخهم وثقته بهم من أسباب ترك الدليل إلى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه فقالوا ما كان مثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل إلا ما يعلم انه حق . وهذا قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلاً وقد يخطئ سهواً وعمداً

﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ١٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والأئمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) إن ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن معروفاً في صدر الاسلام بالمرّة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالأولياء . والولي في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي الله من ينصر دينه ويقيم سننه وشرعيته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

٤١ اتخاذ الولي من الشرك . نهى الشارع عن القطع بكرامة الميت (المنار ٣: ٩)

تناصرهم في إغلاء كلمته وإقامة دينه وشريعته . والله وليّ الذين آمنوا بمعنى أنه هو الذي يتولى أمورهم وليس لهم من دونه ولي ولا نصير . فمن اتخذ ولياً يعتقد أنه يتولى بعض أموره في غير ما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض فقد اتخذته شريكاً كما علمت من آية الزمر التي مرت في جواب السؤال السادس . ومثلها آيات كثيرة .

ليس لمؤمن أن يعتقد جزءاً من أحدنا من الناس بعينه قدمات وهو وليّ الله تعالى مرضي عنده له في دار رضوانه ما وعد به أوليائه ، لأن ذلك تمدد على علم الغيب وقول على الله بغير علم . وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجبولة وأنه لا يقطع لأحد بالموت على الإيمان وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع وإنما يحسن الظن بجميع المؤمنين ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤنا له بفضل الله أكبر . أخرج البخاري في صحيحه عن أم العلاء - امرأة من الانصار - أنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا - أي وقع في سهمنا - عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكبرهم ومتعبد بهم ومن شهد بداراً فاشتكى مرضاه حتى اذا توفي وجملناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى ؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك ان الله أكرمك » فقلت لأدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إني لأرجوله الخير . ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً ؛ فهذا الحديث الصحيح يكفي في قطع السنة المفتاتين على الله الذين يجزمون بأن فلانا وفلاتا ممن يعرف وممن لا يعرف من أولياء الله المكرمين عنده قطعاً وأن لهم فوق ذلك السلطان في عالم الغيب وعالم الشهادة وما أجهلهم بالله وكتابه وبهدي رسوله وسيرة سلف الأمة الذين نقل عنهم في الخوف وعدم الجزم بأمر الآخرة ما فيه عبرة للجاهلين لو كانوا يوعظون به حتى ان المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله وكانوا يقولون ما يدرينا ان النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه وأنا فتنا من حيث لا ندري

(المنار ٩:٢) آدم وعيسى . القياس في سماع الغناء وآلات الطرب ١٤١

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتب الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سألت عنها فكتب اليانا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها اليانا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» واننا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها به وانما يصح ان يمتنى به هذا الاعثناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الاشارة اليه أو بغيره فان لم نقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله) . أما الآن فاننا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ما ذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعارضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذ عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أو وردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشتبها أو رد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جعلت في اللقا من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا من اجتمعا عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تممة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبية) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر ان يوجد في مصر من يتحاشى السماع ولكن الجهود في كثير من البلاد على تقليد المستشرقين لا يابن الا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يري القارى المنصف ان مقاله الشوكاكي (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفة التحقيق الآن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكبر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحدِيث الإباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أو نديه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الأوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الأوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الإسراف فيه فإن الإسراف ضارٌّ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الغناء هو مكروه يشبهه الباطل ومن استكثر منه فهو سفهه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفهه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لأنه اذا لم يفر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فرما كان لا يفر عليها مطلقا وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ولهذا اللة تقول لواجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحجي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار المراقى والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطباليين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخر ولا يذكربها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا تبين أنه ليست الغلظة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطبيات كلها الاماني تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢:٧) قل من حرم زينة الله التي اخرج امباده والطيبات من الرزق) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بعرض

(المنار: ٩٠٢) بعض العوارض المحرمة للسمع . حديث اذا فعلت أمي ١٥ اخصة ١٤٣

آخر « اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض
فهذا القول هو أحسن ما قيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ما قيل
في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة إنما حرم لما فيه من
مهانة المؤمن وضمته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبهاً بأهل
السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول
بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين
والغزالي في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحت في أخرى لعلته التشبه
وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها
فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الإطلاق
كما انه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من
التنبية إليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك
حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لتبعيه بين سعادة الدنيا
والآخرة والله أعلم وأحكم

﴿ الكلام على عبارات الاسئلة ﴾

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب
الخ فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الفناء والمعازف الحل
كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلته التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال
في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة
بالسمع تدعو الى الفساد فهو محل نظر إذ السماع كما قال بعض العلماء إنما يجر كذا الساكن
ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع
تأثيراً في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطل
الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الأشخاص وان ذلك لا يمنع ان
الأصل فيه وفي جميع اللذات الإباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب
النصائح وهو « اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها
اتخاذ القينات والمعازف وفسرها باللاهي من الأوتار والمزامير لم نذكره في أحاديث

١٤٤ ظن ابن حجر في ابن حزم وابن طاهر الحافظين (المنار ٢: ٩)

المطر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرخ بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعاً « إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يا رسول الله قال « إذا كان الغم دولا والأمانة مغنا والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولمن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ربمحا جراً وخسفاً أو مسخاً » والفرخ بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة » الخ فقال هذا باطل : فقيل من جهة الفرخ قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير : وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به وقال مسلم أنه منكر الحديث : ثم إن الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ما هو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وإن لم يصح الحديث لأنها من السرف في الترف وفساد الأخلاق وإضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الميمني من الظن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلو في التعصب لا قول علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وإنما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر المستقلاني امام المحدثين في زمنه وبعد زمنه . وقد ذكره ترجمة طويلة في طبقات الحافظ قال فيها : وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شاعراً ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكانت صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحرر للصدق - ثم قال - وقال صاعد بن

١٤٥ (المنار ٩:٢) العود إباحة الصحابة والتابعين وبعض الفقهاء

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفة بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متقناً في علوم حجة عاملاً بعلمه ماراً أيضاً مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ماراً يت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الإسلام العزبن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ماراً يت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباضي) التي قالها فيه ابن حجر الهيثمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بمثلاً أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فخط عليه وقال كان صوفياً ملامتياً سكن الري ثم همدان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير يا هذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وإنما كان يرى إباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بهد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيثمي من أنه مجازف إباضي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألهم هؤلاء الأئمة الذين يسبهم ابن حجر الهيثمي المتعصب لتقليده المعفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحتها العود فاذا لم ينصح عنه فقد صحت عن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بهد نقل تحريمه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازها وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمر

(المجلد - ٤)

(المجلد - ٤)

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثر فقهاء المدينة . وحكاة الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقد منا ذلك عن ابراهيم وابنه سعد وحكاة الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاة الفوراني في كتابه القمد . وحكي الروياني عن القفال أنه حكي عن مالك أنه كان يبيع الغناء على المغازف وحكاة الماوردي في الحاروي عن بعض الشافعية ومال إليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاة عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاة ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكرهه ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالبرد والخبر أكثر ما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل الترد مكروها غير محرم ، وما حكاة المازري في شرح التلقين عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكروه ، ونقل عن العزيز بن عبد السلام أنه سئل عنه فقال أنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني الغزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه وما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات ما لا يحتاج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أساسيهما لينظر في طمته . وسقط بهذه القول ما جاء في الأسئلة من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتفسيق من يسمه واما سؤاله عن جواز نسبة ذلك الى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الملل كما نقل ذلك عن م خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدقه واما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم اذا سمعوا العود فنقول

(المنار ٢: ٩) نقد شرح ديوان أبي تمام . خلاصة القول في السماع ١٤٧

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وإنما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكروا في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماعه المود من غير ان يتشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهانها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الفناء أو آلات اللهو
يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري
والدفوف بلا تكبير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن
بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة
في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو
العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يضره
بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يجب ان توثي رخصه كما يجب ان توثي عزائمه (٩) ان
تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في
اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

أَنَّ عَمَلِيَّ الشَّبِيهَ

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاه من نحر وجيد
(سنن الفريد وجهه المقدم) يقال امض على سننك أي على وجهك وتنع
عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وإنما قصد الى تشبيهه
فطرات الدموع بمحبات المقدم الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كحبر جمع
حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدهلكة ملساء فيحسن تشبيهه بمحبات

العقد بها وإطلاق اسمها عليها . ولا يضر التشبيه بث رائحة السنن لأنه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته (ص ١٠٤) رأنا مشعري أرق وحزن وبقيته لدى الركب المهجود (المهجود من هجد إذا أناخ) هجد نام والركب المهجود النائم وهو ما أرادته الشاعر فهو يقول إن الطيف يحامي زيارته لكونه حليف أرق وحزن والطيف إنما يأوي إلى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام (ص ١٠٩) أخوال الحرب العوان إذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود (العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص ١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام أنفري لنا شظف الأيام في عيشة رغد (أنفري انصلح) أنفري هنا بمعنى انكشف وتخلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر * به انكشف عنا الغيابة الخ (ص ١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موت في اليدين مجرد (الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح أن الفراش مفرد على وزن كتاب وإن معناه ما ذكره وليس كذلك فإن شاعرنا أراد بقوله ما يريد أهله اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ التحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد . (ص ١٣٩) نفسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد (بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى أن من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة . فالمصعد اسم فاعل من أصعد إذا استقبل أرضا أرفع من الأخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتزل » أي كما يزل النازل على الصخرة الملساء (ص ١٤٥) حتى التوى من تقع قسطها على حيطان قسطنطينة إعصار (النقع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالنقع هنا

الغبار وتكون إضافة النعم الى القسطل الذي معناه الغبار أيضا من قبيل الإضافة اليبانية (ص ١٤٨) وإذا القسي العوج طارت نبلها سوم الجراد بشيح حين يطاز (السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوما حامت وهو مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثر النبال واشبه انتشارها حومان ورجل الجراد الذي هيج فجده في الطيران . وجواب الشطر البيت بعده (١٥١) لولا أحاديث أبقنها أوائلنا من السدى والندى لم يعرف السر (السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على ما يستقط في الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما هنا المنيان الاخيران قطعا ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل . (ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكأنها عصب تيمن في الوغى وتمصر

(العصب صبغ يصبغ في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي وتموش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزهيره حللا ملونة تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لأنها تحاكي الصبغ نفسه (ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده التحير (اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا اجتمع وانتظم واستوى . واتساق القمر اكتماله واستواؤه . وقولهم وسق البعير أي ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له .

(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفوت ترب وللندى حلس (الحلس الكبير من الناس) : نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجمل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير لمن يلازم الشيء ويؤود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وفلان ليس من أحلاسها فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقرو وعمرو ترب ادب . وقرنها بترب يؤيد كون المراد بها ما ذكرناه .

(ص ١٦٩) قالت وعي النساء كالخرس وقد يصعب الفصوص في الحلس

(الفصوص احداق الصيوت) نعم لكن ليس المراد بها هنا هذا المعنى ؛ اصل الفص حجر الخاتم وتجاوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فسه أي أصله وحقيقته ومخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان حزاز الفصوص اذا كان مصيباً في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على عينن قد يقعن على الصواب ويصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قاله المرأة . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض (البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبات فيها

(ص ١٨٣) لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيع عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لا تميك فيه العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيع فالعجم في البيت متجاوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص ٢١٤) يروب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعر والبراق (الاماعر الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يروب يرجع الى السلام الذي أرسله الشاعر الى المدوح يعنى أن سلامه يرجع الى شمائل مدوحه التي وصفها بقوله ميث اي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء وارض ميث . ولما وصف الشاعر شمائل مدوحه بصفة الارض الحسنه ناسب ان ينفي عنها صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعر والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة الكثيره الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الغليظة ذات الحجارة والطين والرمل ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول ان شمائل المدوح وطباعه لينة وليست بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزه فزبت خلة في درج ثوب الالبس المتنوق



(المنار ٩:٢) سماع التابعين للفناء . غزل سعيد بن المسيب ١٥١

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه
و يبالغ في تزينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك المدوح
(ص ٢٢٨) ضحك إذا خرس أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطية الذبيل
(الذبيل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضهور كقولهم ذبل الفرس
ضمير وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى
ولان وتذبل في مشيه فقتر فيه ثم أجروا المادة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي
دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطقة القشرة التي تكون على القصب وربما كان
اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح إذا لم يكن لنا لدنا تقصف
ولم يصلح للطنن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من
ذبول الرماح . وإذا أريد وصف الرماح بالصلاية قيل كما قال الحماسي
ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملاها كذلك أزور
قوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الأدبيات ﴾

قال شارح الأحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين : وحسبك
منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد
الفقهاء السبعة وقد سمع الفناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان
سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخصر يفتي في دار العاص بن وائل وهو يقول
تضوع مسكابطن نعمان اذمت به زينب في نسوة خفرت
فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلد استماعه ثم قال سعيد
ولست كأخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجرات
وعلت بنان المسك وصفا مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات
وقاضت تراءى يوم جمع فأقنت برويتها من راح من عرفات
وأثبت الحافظ ابن عبد البر أن هذه الأبيات لسعيد بن المسيب . أقول وقابل
معايب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنائهن بحال نساتنا اليوم . يوم

(المنار ٢: ٩)

سماح سالم بن عبد الله بن عمر (رض)

١٥٢

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن المحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتقنى بهذه الايات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى
بأطيب من أردان عزة موهنا
من الخفرات البيض لم تلق شقرة
فان برزت كانت لعينك قرة
يمحج الندى جشائها وعزارها (١)
وقد أوقدت بالمنديل الرطب نارها (٢)
وبالحسب المكنون صاف نجارها
وان غبت عنها لم يفمك عارها
فقيل له أصلحك الله أتغني بهذه الايات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن
بها ركبان نجد. قال الراوي فوالله ما أكثر بي وعاد يتقنى بهذه الايات

فما ظبية أدماء حفاقة الحشا
بأحسن منها اذ تقول تدللا
تتمتع بهذا اليوم التصير فانه
رهين بأيام الشهور الأطلول
قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله أتحدثني في هذا بشيء؟ فقال نعم
حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب
بغضيه بهذا الشعر:

مغيرة كالبدر سسنة وجهها
لها حسب ذاك وعرض مهذب
من الخفرات البيض لم تلق ريبة
مطهرة الاثواب والعرض وافر
وعن كل مكروه من الامر زاجر
ولم يستملها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال:

ألمت بنا والليل داج كأنه
فقلت أعطار ثوى في رحالنا
جناح غراب عنه قد نفص القطرا
وما احتملت ليلى سوى ريمحها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لاجزلت جائزتك فلك من هذا الامر مكان اه

- (١) الجشجات نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو الرجس البري
(٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر او ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفاقة
لحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت الالهة

(المنار ٢: ٩) الفونوغراف والسكروراه . الشيخ محمد بن حنبل

١٥٢

﴿ رسالتان في قراءة الفونوغراف والسكروراه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بن حنبل الأزهري المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما القريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقوم البلدان والحديث والفقہ . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا محل لذكره هنا ووصف الفونوغراف وصف من لم يره ولم يسرف شيئاً من علم مخترعيه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : « وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السؤال عما يأتي ويطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اه ويا ليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبهه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا - في الرومي الشرقية من ولايات أوروبا التي دخلت في إمارة بلغاريا - في ولاية سلانيك من مقدونيا - استنباط يرده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على انه مشهور في البلاد بالعالم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم إلمامه بالجغرافيا التي ما برح يذمها وينفر عنها حتى انتفعت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقہ في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافراً أي يجوز أن يكون خليفة المساهين الذي يقلد القضاء ويأذن بصلاة الجمعة كافراً واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمن امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه » والحديث منكر أو موضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر أنه أفسد أسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فإنه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فإن المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينبى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا ان الشيخ سمي رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية: « الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائما مستمرا باستمرار الأهله ، » فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقتال بابه، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبذل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فحسى ان يروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورماعدا الى انتقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجي - العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى انحدرت بجمعية الملاجي - العباسية في فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولاً من الكتب والجرائد وجمعت هدية للمشاركين في جمعية الملاجي - العباسية . وأما قسمة الاشتراك السنوي فغيرهم فيلايون قرشاني معز و . افرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة - ان وجد بأريحية معي الخير - فهو لمساعدة الأيتام والفقراء والعجزة في تلك الملاحة ، فمسي ان تصادف من الاقبال في حياتها الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث الأدبية والمقاطع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر - بردا وسلاما - يتمتعون به فلا ينسون لذته حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي ، اطال الله خدمة منشئها لفنون الآداب، ولتي ما هو أهله من تمضيد أولي الألباب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ « لاحظ » لا يتعدى بعلى وصاحب التقرير يكتر من قول « لاحظ عليه » فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الادباء ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل » لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان « على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار المشار إليها كانت موجبة بالمناسبة الى ما قلنا انه بكتر في كلامه ولكن سقط من الاصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا: « ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة وهو النظر بمؤخر العين . وتسعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى الحقيقي ولا المجازي . ولا حظ لا يتعدى بعلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الاولى والثانية ومنه يعلم ان الانتقاد على تمديد لاحظ بعلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س ٢١ ص ٩١٨ م ٩

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِصْلَاحِ

مملكة مراکش ومؤتمر الجزيرة

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الأولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراکش بأن طوفان أوروبا لا بد ان يفيض على بلاده فيغيرها اذا هولم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيها حالة المصير لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وإنما يعتمدون على أهل القبور في دفع الضرر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجاهل الي قبر سيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقليات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وايما عاهل الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراکش على مؤتمر أوربي فان عقد المؤتمر في الجزيرة من حواضر اسبانيا فاتفق أعضاءه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أورييون . أما المصرف فلا يتلوع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتنأمن تجارة أوروبا التي يتلعون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال التنارع بين فرنسا و ألمانيا في شأن حوض كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تفكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين .

مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطاننا بل تقليص لظلمنا عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل دماءهم وأموالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألي كريت ومكدونية وكما سيجري في سراكش بعد هذا المؤتمر الذي يجعل لهم حقارسيما في القبض على ادارة البلاد وأموالها . اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل سراكش وبين الاتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجلود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعان من فهم الحق ومن كل تشهير يدعى اليه المقلد للأباء، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين برون مندشر ع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان رجحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها الى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبي ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليزي في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل . فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بهد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحياها . على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جلدتها للمدارس المصرية منذ بضع سنين ،

١٥٨ تسلط الشياطين على عالم أزهرى . أو مخادعة دجال غوي (المنار ٩:٢)

البدع والخرافات

وَالْبَقَا لِيَدِكَ وَالْعَجَابُ

﴿سلطان الشياطين على عالم أزهرى . ومخادعة دجال غوي﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه «أشهر الحوادث وأعظم الرجال -
حادثه في الأزهر» يريد ناشره ان يشهره نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين
من الاجسام والبيوت ورأى ان اعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بذكر الاستاذ الامام
رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعلمه بأن الامة تقر كل ما يكتب عنه . ومن العجائب أن
بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته واننا ننشره وننكره وهو باختصار
«لاريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام
الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادوية في الأزهر ويقرأ فيها جواراً والناس من حوله من ترك
وعرب وعجم فضلاء يحايط ذلك من دان وشاسع وكان اذذاك يصيح باعلى صوته بان لا
وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يحاجونه بالكتب
المنزلة فما استطاعوا الرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاهام وضرب
لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد
واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس واقفه على هذا الأمر على انه
يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الأزهر
ومن رجال التدريس يفة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ
اشترى من منذ سنتين منزل بأم القلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه
الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الخيال
وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قرودة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا ينقلون الكتب
والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشفاله
واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر
وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بفوائد ووصفات وكثير من أعظم مصر

(المنار: ٩:٢) تسلط الشياطين على عالم أزهرى . أو مخادعة دجال غوي ١٥٩

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبى الكتبي واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى ينس حضرة الاستاذ وصم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بان له يوجد رجل ٠٠٠٠ ساح في الارض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ٠٠٠ فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يا من هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوت بصوت رفيع وتكلم معها و اشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبرهم ٠٠٠ بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ٠٠٠ عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضغ له سور من حديد عليّ انه لا يمكنني ان اطعم احداً عليه مها كان ميله اليّ وقربه من فؤادي»

اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا الغلو في شهرة صاحب الاسم المراد اشتهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والافرنج ٠٠٠

قد ادعى هذا اللجال عدة دعاوي باطالة يعلم بها انه يعتمد الكذب .

(أولها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكاناً صغيراً كأفحوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الأزهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهراً . وهذا كذب وبيتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تأليفه أو تفسير النار الذي تقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الأزهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيدس والواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس وافقه على إنكار

١٦٠ تسلط الشياطين على عالم أزهرى . أودخادعة دجال غوى (المنار ٩:٣)

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسين أنه يقول إن الحكاية أصلاً ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه براكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكم بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة - ابن مسعود وابن عباس - هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن وتمصرفون فيهم كما شاؤوا متى شاؤوا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الامكراد جلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام استدلل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا نحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكم من بيت كادله شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فصبوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء ان عيبتهم من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي إليها . وقد كان من علماء الأزهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريات والشياطين من السلطان على علماء الأزهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريات لتحت العوام، اذ قلت الخرافات والاهام ؟